بشکـــروش

بشكـــــروش

جَحيمٌ لا ينتهي واختبارٌ قد بدأ للتو

كريـم غبـاشـي

للنشر والتوزيع
Arabic Library

اسم الكتاب: بشكروش
اسم الكاتب: كريم غباشي
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 11161
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 85718 – 5 – 1

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

عندما تُشَكِّل الحُروف لك عالمًا لم ترهُ من قبل

تخُوضُ فيه مغامرة لتَرى بخَيالِكَ ما لم ترهُ بعَيْنك

(كريم غباشي)

إهـداء

إلى أم محمد التي تسكن في الطابق العاشر، أعلم أنها كانت تحبني كثيرًا، حتّى إنها كانت حين تراني تقترب مني وبصوت أقرب إلى الهمس تقول (أنت عيل صايع ومش نافع وابقى.....لو نفعت)، شكرًا يا أم محمد، أنا نفعت وجاي عند قبرك و... تم حذف بعض الكلمات حرصًا منا على سلامة الدار والذوق العام والخاص..

كريم غباشي

المقدمة

الرُّعب الحَقِيقِي هو ما يَفْعَلُهُ البشر لا ما يُحْكى فِي القَصص، إن كنت تريد أن تلج في قصة تجعل كل أَوصالك ترتجفُ خوفًا، فانظر إلى الناس من حولك؛ من قتل ليحصل على المال، من نافق، من تاجر في أعضاء البشر، من تلذَّذ بصوت الصّرخات، من قطع الطرقات...إلخ، فقط انْظر إلى النَّاس من حوْلك، وستعلم كيف يكون الرُّعب على أصله.

في هذه المجموعة..

ستتعرف إلى أبطال خارقين من الممكن أن تتشبه بهم، ستأخذك في رحلة خاصة يكتنفها الغموض مع الشيطان الذي يتصدق، ولكن لا تكون الصدقة هنا إلا بمقابل، ثم تتجول في الغابة وتلتقي بمولود الغابة الجديد الذي لا يشبه طرزان هذه المرة، سترتدي نظارة المستقبل، وترى ماذا سيحدث بعد ذلك، وترى العجب بعينيك، ستتعلم القوة والتحمل من عسكري الوطن، وستتمنى مقابلة قاتل القراء، ولكن احذر أن تنتقد كتاباته؛ فربما تكون هذه نهايتك! وتذكر دائمًا أني قد حذرتك، واعلم أن الحب وحده لا يكفي، وتعلم من حلم تحقق كيف يكون الصبر، وتأخذ عبرة من فتاةٍ تعلمك فيها كثيرا، يتغير العالم كله في ناظريك، حتى تجد آلة الزمن وتذهب لتعلم ما الذي حدث لتوت عنخ آمون الذي دمر كل شيء، ورجاء لا تقترب من العفريتة تال ولا تعبث معها، فتجد بشكروش أمام عينيك! رحلة عجيبة ربما تخرج منها وربما لن تستطيع، فكن على استعداد.

لعنة آمون

كانت السّمَاءُ عاتمةً، والرِّمالُ مُلتهبةً قد أصابتْها أشعّةُ الشَّمس الحارقة، حينها سقَط من السَّماء نَيزك قد اختَرق فجوة من الرّمال الكثيفة، فسمع العبيد الذين كانوا يعملون صوت الارتطام القويّ، ولكن لم يلتفت منهم أحد؛ ظنًّا منهم أن الآلهة هي من فعلت ذلك، ثم عادوا يعملون بسواعدهم دون لغوب، وأخذ عمّال المعابد ينقشون كلماتهم وأسماء الملوك على أبواب المقابر، لم يذهب أحد منهم إلى موقع النيزك الذي ارتطم بالأرض غير كاهنٍ يدعى "كا مع"، تسلل ليلاً وأخذ يستكشف هذا الشيء، فوجد مجسمًا كبيرًا في أدنى قطعة من الرمال فنزل إليه، فوجد شيئًا ضخمًا مكتوبٌ عليه كلمات بلغة غريبة لم يعرفها، فضغط على الزِّر الذي يوجد أعلى المُعدة فلم يحدث شيء، وما إن استدار حتّى سمع صوتًا يشبه صوت النّسر يأتي من خلفه، فالتفت فإذا بهذه المعِدة الكبير تُضيئُ من كل الجهات، ثُمّ فُتح بابُها من تلقاء نفسه، ونزل رجلٌ رأسه كرأس الماعز، لم يتحدث وأخذ يقترب من الكاهن بخطواتٍ بطيئة، ثم جثا على ركبتيه ظنًّا منه أن هذا الكاهن هو ملك هذه الأرض، فرجع الكاهن إلى الوراء قليلًا في ريب وهو يقول:

- من أنت بحق "الإله آمون"..

وقف أمامهُ هذا الكائن في حالة يكتنفُها بعضُ الغُموض، ثمَّ أخرج من خلفهِ عصًا تشعُّ نورًا، توجدُ عليها رمُوز كثيرةٌ غير مألوفة له، وضع العصى بين يدي الكاهِن ثمَّ استدار، ودلف باب المركبة الفضائيّة، ثُمَّ اقلعت وهو ينظُر إليه محدقًا فيها وهي تعُلو إلى السّماء حتى اختفت عن ناظريه، التفت ينظرُ للعصى وهو لا يعلم ما الذي يفعلهُ بها، ثمَّ خبَّأهَا في مقبرةٍ قديمةٍ وذهب مسرعًا دون أن يرهُ أحد. وأتى في اليوم التالي وظلَّ يعبث في العصى ليعلم ما الذي سيحدث، فإذا بها تشعُّ نورا تارةً وتارةً أُخرى تنطَفئ، اقترب من التابوت الذي توجد فيهِ المُومياء، وأخذ يُسلّطُ العصى عليها فوجد أن إضاءتها قد زادت، وما إن اقترب من المُومياء حتّى وقعت العصى من يديه، ثم ارتفعت عن الأرض محلقةً في سقف المقبرة، وإذا بشعاع من النّور مُتَّجهًا نحو التّابوت، فاهتز بقوة ورُفع التّابوت، وظلَّ يرتفع حتّى لامس السقف، ثم ارتطم بالأرض واختفت العصى، وقف الكاهن في دهشة قد لجمت لسانه عن الحديث، فوجد التّابوت يُفتح، وخرجت منه المُومياء من ثُباتها العميق، رجع القهقرة وهو ينظُر في دهشة متوسلًا وهو يقول: -لا تقتلني أرجُوك!

عيني المومياء كانت بيضاء إلى حدٍّ كبير تجعلُك لا ترى بؤبؤ العينين، طأطأت رأسها واقتربت منه وهي تقول:

-أنا خادم مملكة "أرسمال" مملكة الأقوياء، لقد أرسلوني إلى هنا كي أعرض عليك عرضي أيها الملك..

اعتدل "كا مع رع" وهو ينظر إلى المومياء التي عادت إلى الحياة من جديد، لم يُصدق ما يحدث حوله فقال متسائلا:

-من أنت وما عرضك؟

كانت المومياء تتحدث بكلمات مقطعة لا يكاد يفهمها:

-أدعى "ايمول" أحد وزراء مملكة "أرسمال"، علمنا أنكم تتمتعون بالقوة والذكاء؛ لذا أردنا أن يصبح لنا حليفٌ في الأرض مثلكم، نحن نعلم أنكم تحلمون بالإمبراطورية الممتدة حتى أعالي الفرات والنوبة، أليس كذلك؟

تعجب من أنهم يعلمون كلّ شيء عن الأرض، رفع رأسه وهو يقول كاذبًا:

- نعم أنا ملك هذه الأرض، ولكن ما الفائدة التي ستعود عليّ إن وافقت على أن نُصبح حُلفاء؟

اقترب "إيمول" في جسد المومياء وهو يقول:

-لك ما تريد

-وماذا تستطيع أن تقدم لي؟

-نحن نمتلك ما لا تتخيله..

شرد "الكاهن" بذهنه لثوانٍ وهو يقول لنفسه: لو أخبرته أنني أريد أن أصبح ملكًا على هذه البلد سيعلم أنني كنت أكذب عليه، ولكن كيف سأقنعه بأن يساعدني لأصبح الملك، فخطرت إلى عقله فكرة فقال:

-أوافق، لكن بشرط..

أومأ "إيمول" وهو يقول:

-لك ما تريد

-لقد جاء إلينا رجلٌ قوي منذ سبعة عشر عامًا، ظل يحكمنا وأطاح بي من الحكم، لذا أريد أن أرجع إلى مملكتي.

قال"إيمول" متسائلًا:

-الست أنت الملك؟

-بالطبع، ألا تَرى هيئة ملابسي؟ إنها ملابس الملوك عندنا، ولكن هذا الطّاغية هو من سلب الحُكم مني، وهو لن يرضى أن يصبح حليفكم..

-لك ما تريد سيدي

فتحت المومياء يديها، وكانت ممسكةً بخاتم من ذهب وهو يقول على لسانها:

-خذ هذا الخاتم تمتلك القوة.

أخذه وقام بارتدائه، فارتعش جسده رعشة فجائية، وشعر بالقوة تسري في وريده، فسمع "إيمول" يقول:

-نحن لا نعامل القوة بالقوة، بل بالعقل سيدي

لم يعِ ما قاله فقال متسائلا:

-كيف؟ اخبرني

-أنت الآن تملك القوة، ولكن ليس مسموحًا لك باستخدامها، فقط هي تتيح لك أن تتشكل على أيَّة هيئةٍ تريد. واستخدم أنت ذكائك لتحصل على مملكتك مرةً أُخرى..

فرح الكاهن وهو يقول:

– يا لها من قوة؛ هذا بفضل الآلهة "آمون"

قال"ايمول" متسائلا:

-ومن يكون"آمون"؟

تلعثم في حديثه وهو يقول:

-لا شيء.

في هذه الأثناء، أتى "أخناتون" الذي لم يقتنع بتعدد الآلهة كما كانوا يفعلون من قبله، غير أن "تي" كانت لا تحب الكهنة، وقد تشرّب ابنها منها ذلك، ومن هنا جاءتهُ فكرةُ الخروج عليهم، لأنّهم كانوا يُديرون كلَّ مفاصل الدولة، فخرج في ثورةٍ وعمل على توحيد الآلهة إلى إله واحد وهو "آتون" الديانة "الهينوثية"، أو كما يطلقون عليها" التوحيدية" الّتي جمعت الآلهة في إله واحد، ورمز لها بقرص الشمس المشعّة، لكونه يرى أن هذه الأشعة التي رمز له هي أشعةُ الخير التي ستأتي إلى الأرض بواسطة الشمس، فهو لم يكن راضيًا عمّا كانوا يفعلونه من تعدد في العقائد، لذا سمّى نفسه "أخناتون" كونه مُخلِصًا لعبادة "أتون". لم يرُقْ للكهنة ما فعله، فخرجوا في ثورة عليه، وسموها ثورة "كهنة آمون"، لم يكترث أحد لهم، وعمل أخناتون على محو اسم الإله آمون من عاصمة طيبة التي كانوا يسكنونها، وقام بنشر العقيدة الجديدة في البلاد، كان الكاهن "كا مع" الذي حاز هذه القوة الكبيرة مستاءً

مما فعله "أخناتون" لأنه كان متشددًا لرأيه، غير الحرب التي يشنّها على الكهنة، ولم يكن يكترث لأي شيء غير توحيد الآلهة، وإبعاد الناس عن عبادة "آمون"، فتشكّل الكاهن على هيئة أحد الوزراء لديه، وتمكن من قتل الوزير لكي يلعب هو دوره، وأخذ ذات ليلةٍ يسعى لقتل "أخناتون"، ولكنه لم يفلح في ذلك، لم يشك أحدٌ في أمره، تمكن الكُره من قلبه " لنفرتيتي"، الملكة الرئيسة لكونها تشارك "أخناتون" في عبادة "آتون"، حتّى أنجبت "ميرت آتون"، علم أن "نفرتيتي" لم تكن تحب "كيا" التي قد تزوجها "أخناتون" بعدها، فأنجبت له "توت عنخ آمون"، كانت تفضلّ ولدها عن جميع الفتيان، وتريده أن يصبح الملك، شعرت "نفرتيتي" بذلك، ولكنه كان صغيرًا وقتها لينظُروا له على أساس أنه سيصبح الملك يومًا ما، غير أنه كان يُعاني من أمراض وراثية؛ فأصبح أخوه الأكبر "سمنخ كا رع" المؤهل ليصبح الملك، وجميعهم يرون فيه الرجل الثاني بعد أبيه ويفضلونه عن إخوته الباقيين، عرف "كا مع" الثغرة التي سيدخل منها إلى هذه العائلة، هو ينظر كلّ يوم إلى" توت عنخ آمون"، ويرى فيه القشة التي قسمت ظهر البعير، ظلّ يسعى "أخناتون" وقتها إلى إقناع الشعب بالدّيانة الجديدة التي وحد فيها الآلهة جميعًا، بعدما كانت كل منطقة تعبد آلهة أخرى مثل الإله الأكبر "آمون رع" وغيرها، ليجمعهم في إله واحد يدعى "آتون"، ولكن النّاس لم يقتنعوا بهذا الأمر، على الرغم من أنه نقل العاصمة من "طيبة" إلى عاصمته الجديدة التي سماها باسمه، وانشغل بعد ذلك

بالدين وترك السياسة وإدارة الإمبراطورية الممتدة حتى أعالي الفرات والنوبة، لذا انفصل الجزء الآسيوي منها، وقتها كان قد بلغ من العمر عتيًّا، حتى توفي "أخناتون"، وماتت معه عبادته هذه، كان جميع الشعب يترقب من سيحل مكانه، "كيا" كانت حزينة وقتها لأن ولدها لن يستطع أن يتولى صمام الأمور؛ فهو لم يكبر بعد، فتولى "سمنخ كا رع" الحكم، كان الكاهن وقتها قد تعلم من السّحر ما يكفيه ليقنع النّاس بأي شيء أراده، ظل يسعى إلى الحكم، وانتظر حتى توفي "أخناتون" لتنفيذ ما خطط له منذ البداية، أستطاع أن يقترب من العائلة المالكة خصوصًا "كيا" والدة الملك المنتظر بعد "توت عنخ آمون"، كانت تسمع له وتستشيره في كل شيء، لم يبقَ في حكم "سمنخ كا رع" إلا فترة وجيزة حتى كبر "توت عنخ آمون"، كان يكبر أمام عين "كا مع"، ويرى فيه الملاذ الذي سيلج منه ليصبح الملك، كان يحدث "توت عنخ آمون" كثيرًا عن هذه العقيدة الفاسدة، وهي عقيد "آتون" التي قد آمن بها والده منذُ زمن، وحبَّبَ إلى قلبه عقيدة "آمون رع" إله الشمس، على الرغم من أن "كا مع" قد أظهر نفسه أمامهم أنه قد ارتضى دين أخناتون، وأنه يعبد "آتون" وهو على عكس ذلك، وهذا ما خطط لوضعه في عقل "توت عنخ" ليصبح ناصرًا للكهنة بعد ذلك، ثم تسبب في وفاة "سمنخ كا رع"، فلم يكن أمامهم إلا "توت عنخ"، وهو من تولى الحكم بعد أخيه وأعلن أنه قد ارتد عما كان يعبدُ والده، وأنه من الآن يعبد "آمون"، هللّ جميع الشغب فرحًا وسرورًا، ومنهم من لم يعجبه الوضع،

جميعهم كانوا يعلمون أن ضغط الكهنة الذين بقوا حتى الآن على عقيدة آمون، هم من ضغطوا عليه ليعلن ارتداده عن دين والده، ظل "كا مع" يتربص به لصغر سنه، واستطاع الكاهن السيطرة عليه حتى إنه قد جعله يغير اسمه من (توت عنخ آتون) إلى (توت عنخ آمون) كنية للعقيدة التي يُؤمن بها، وأعطى هذا الكاهن الإشارة في هدم آثار أخناتون من عاصمة طيبة والنقوش التي عليها لأخناتون، حتى إنهم محو اسمه من عليها، وتركها جميعهم هاربًا وخشية من الأذى، ثم ترك "توت عنخ" العاصمة وذهب إلى"طيبة".

لاحظ توت عنخ الخاتم الذي يرتديه الوزير طيلة الوقت، فسأله عنه فقال كا مع متوترًا:

-هذا الخاتم يعود إلى والدتي؛ لذا أُفضله عن كل شيء.

بدأ الشّك يتسللُّ إلى قلب" كا مع" لأنه علم أن نفرتيتي تريد أن تُزوج توت عنخ لميرت آتون، ظل يسعى لأن يبعده عنها، لكنّ جمالها كان ساحرًا، مما جعله يتزوجها بالفعل، شعر "كا مع" أن كل ما خطط إليه سيفشل، فذهب في ظلام الليل الحالك إلى مقبرة أخناتون، وأخذ جثته ثم أخرج الخاتم، وطلب من "إيمول" أن يتلبس جسد أخناتون ليساعده في تنفيذ خطته، ثم ذهب إلى القصر وأخبرهم أن جثمان "أخناتون" قد سرق، فأسرع "توت عنخ" إلى المقبرة، فإذا بالجسد قد سرق كما أخبرهم الوزير.

ظلَّوا جميعا يبحثون عن الجثمان، وفي هذه الأثناء جلس "توت عنخ آمون" على عرشه يفكر:

-في مصلحة من سرقة جثمان أبي!

تسلل الشك إلى قلبه ناحية الوزير؛ لكونه هو أول من علم بالأمر، وفي أثناء شروده سمع صوت أقدام تقترب، فنادى بصوت عالٍ:

-من تجرأ ودخل على الملك دون إذن؟!

فتلاشى صوت الأقدام، ثم عاد من جديد، فقام " توت عنخ" مُتكئًا على منسأته وهو يقترب من الباب، فإذا بأخناتون يقف أمامه ناظرًا إليه وعينيه تشعّان غضبًا وهو يقول:

-لماذا ابتعدت عن آتون؟!

ظل يكررها فرجع توت عنخ إلى الوراء وهو يقول في خوف:

-كيف رجعت إلى الحياة؟!

علت الضّحكات منه وهو يقول:

-أنا لم أمت، أم أنك تريد أن أرجع إلى مقبرتي مرةً أُخرى؟ اخبرني ما حال زوجتك ميرت؟

ظل يرجع إلى الوراء في قلقٍ وهو ينادي مستغيثًا بالحراس:

-أين أنتم أيها الحرّاس؟!

لم يسمعه أحد وكأنَّ آذانهم قد صُمَّت، فخرج " كا مع" من وراءه وهو يمسك آلة حادة بيديه مقتربًا بخطواتٍ تكاد تسمع نحوهُ، حتى أجهز عليه فاختفى جسد والده ووجد "كا مع" يقول:

-أنت ضعيفٌ يا فتى، كيف لك أن تصبح الملك؟!

اندهش منه ثم قال:

-لقد شككت في أمرك أيّها الوزير الخائن

قالها ساخرًا :

-وما ذنب الوزير في ذلك، لقد كان مخلصًا لكم من البداية وأنا من قتلته أيّها الغبي!

ثم ظهر الكاهن على هيئته الحقيقية وهو يقول:

-لقد انتظرت هذه اللحظة منذُ سنوات، كنت أحلم بهذه المملكة، كيف أخناتون هذا المعتوه أن يحكمنا، إن الذي تسبب في نهاية والدك هو تركه السياسة وانشغاله بالدين، ولا تظن أنك تستحق لقب الملك، وأنا من عجّلت بنهاية "سمنخ كا رع" لكي تصبح أنت الملك وأصل بعد ذلك.

تعالت الضحكات السّاخرة منه، فتعجب "كا مع" وهو يقول:

-ما الذي يضحكك؟

قالها بغضب فرد عليه قائلًا:

-أنت ذكي، ولكن قد نسيت شيئًا مهمًا للغاية..

قالها متسائلا: - وما هو؟

-أنني لست "توت عنخ" من الأصل.. ألم تلاحظ موته؟

فوقع "توت عنخ" على الأرض، ووضع يده وكأن شيئًا سيحدث، ثم رفع رأسه وتغير شكله ويتحول إلى "إيمول" والابتسامة على محياه ويقول:

-لقد ساعدتنا في الولوج إلى المملكة؛ نشكرك..

وقع الكاهن أرضًا وهو يقول ندمًا:

-لا، لن تسيطروا علينا!

ظل "ايمول" يضحك وهو يقول:

-أنت خائن لوطنك أيضًا، فنحن متشابهون سيد "كا مع"، ونعلم جيدًا أنك لم تكن تحكم هذه الأرض من قبل.. كنت تكذب علينا، ولكن لِمَ أرى في عينيك الخوف؟ لا بأس؛ فالخوف شعورٌ جيد يتميَّزُ به البشر الحقيقيون، وبدونه يُصبح المرأ وحشًا، ونحن لم نتذوق الخوف من قبل.

ثم أخرج عصًا كبيرةً وهو يقول:

-الخاتم الذي ترتديه هذا، لم يكن يعطيك القوة، بل لتصبح سجينه إلى الأبد..

حاول أن ينزعه من أصبعه فلم يستطع، فأخذ "ايمول" العصى وتلى عليه بعض الكلمات، فأضاء الخاتم الذي يرتديه "كا مع"، وتحول جسده إلى ضوء يتلاشى حتى اختفى.

لم يكن أحد في المدينة يعلم الحقيقة، فـ"ايمول" من قام بجرح قدم "توت عنخ" وتسبب في موته قبل أن يكمل الثامنة عشر من عمره، ظلَّ يحكمهم "ايمول" على هيئة" توت عنخ"، حتى أنزل الكائنات الأخرى إلى الأرض، وجعل جميع الناس يعبدُونها ظنًا منهم أنّها الآلهة، وعاشوا جميعًا في ذلٍّ تحت سطوة الكائنات الفضائيّة وهم لا يعلمون ذلك.

آلة الزمن

ماذا لو كان السفر عبر الزمن ممكنًا؟ وماذا لو استطعنا أن نرجع إلى الماضي، فنغير أشياء كثيرة لم نكن نريدها! هل لو قتلتُ والدي في الماضي أنني سأختفي من الحاضر!

ولكن لابد أن أجد طريقة ما لأغير الماضي، فيترتب على ذلك تغير المستقبل، لو قتلتُ من اخترع المصباح الكهربائي، هل سيحيا العالم في ظلام حالك؟

أسئلة كثيرة تدور في عقلي، ولن يهدأ لي بال حتى أسافر عبر الزمن، جلست طيلة الوقت أبحث في كل مكان عن طريقة تجعلني أتأكد أن العودة في الماضي ليست محضًا من الخيال، بل من الممكن أن تصبح حقيقة، ولكن كل ما عرفته أنه من المستحيل الرجوع إلى الماضي، ولكن من الممكن أن أسافر إلى نقطة افتراضية بالتزامن مع نظرية "ميكانيكا الكم"، أو من خلال نظرية "جسر أينشتاين روزين"، فكرة السفر هنا تأتي عن طريقة تمدد الزمن، هذا ما جعلني أتعلم علوم الفيزياء، وعلمت أن الطريقة هذه تسمى نظرية (النسبية)، وتأكدت حين صعد رجلين من رواد الفضاء، وتم ملاحظة هذه النظرية من خلال جزء من الثانية من خلال ساعة اليد.

ما كنت أحتاجه فقط هو أن أذهب في جولة ذهابًا وإيابًا بسرعة تماثل سرعة الضوء، ولكن من أين أحصل على هذه الإمكانات؟ لا أعلم.. حتى تعرفت إلى صديقي "عمار"، فأخبرته بهذه التجربة فنظر إليَّ وقتها بسخرية قائلًا:

-هل ما زلت تشاهد أفلام الكارتون؟

-أنا أتحدث بجدية، من الممكن أن أسافر عبر الزمن..

جلس بجواري وهو يقول:

-إن اقتنعت برأيك، فمِن أين تأتي بالمعدات التي ستساعدك في هذه الرحلة، ومِن أين ستأتي بالشخص الذي سيقوم بالتجربة إلا إن كنت أنت الشخص!

-نعم؛ فأنا أحب المغامرة..

-ولكن هذه المغامرة من الممكن أن تفقدك حياتك!

-تعلم، منذ أن قرأت رواية "هربرت جورج ويلز"، وأنا أريد أن أستخدم آلة الزمن وأعبر هذا العالم..

سمعت ضحكاته الساخرة وهو يقول:

-هل تعي ما تقول؟ إنها رواية خيالية ليست من الواقع!

-لا، من الممكن أن تحدث صدقني، هل تذكر القصة القصيرة التي كتبها "إدوارد بيج ميتشل"؟

حك رأسه وهو يقول:

-نعم أذكرها، كانت هذه القصة بعنوان "الساعة التي ذهبت إلى الخلف"

-نعم، وغيرها من القصص..

قاطعني قائلًا:

-هي قصص يا صديقي، ليست من الواقع..

-أعلم ذلك، ولكن لو تعرفنا إلى الزمن في حقيقته سنعلم أن أصحاب هذه القصص لم يكونوا يكذبون، ماذا لو أنهم استطاعوا أن يعبروا إلى المستقبل، وقاموا بتأليف هذه القصص؟

رجع "عمار" إلى الوراء وهو يقول:

-لا، يبدو أنك قد جننت؛ خيالك هذا سيأخذك إلى الهلاك

-لك أن تعلم أن الزمن له أبعاد، تسمى الأبعاد المكانية الثلاثة، بمعنى أن الزمن والمكان مرتبطان ببعضهما، ولكن من الممكن أن يصبح هناك بعد رابع..

جلس "عمار" وهو في دهشة ثم قال مستغربًا:

-كيف علمت كل هذا! أنا حتى لا أعرف ما هو البُعد الرابع هذا؟

-الأبعاد بصورة بسيطة، هي أن تتخيل أنك تذهب يمينًا ويسارًا، وتسقط إلى الأسفل وترتفع إلى الأعلى تركب الطائرة، كل هذه أبعاد ومن الممكن أن نستخدم البعد الرابع أيضا وتذهب عبر الزمن..

قاطعني وهو يحاول أن يتماسك من ألا يضحك:

-اعذرني يا صديقي، لن أتحمل ما تتفوه به، دعك من هذا الهراء؛ أنت تعلم جيدا أنك لن تصل إلى سرعة الضوء المطلوبة مهما حدث، وخصوصًا أن السرعة التي تحتاج إليها هذه لن تجدها على وجه الكرة الأرضية..

قلت له:

-أنا أعلم ذلك جيدا، ومن قال إنها على وجه الأرض؟

قال متعجبا:

-ماذا؟ لا تخبرني أنك ستسافر إلى الفضاء؟!

-ولمَ لا؟!

-وكيف ستفعل هذا؟

-سأخبرك لاحقًا

أمسك بيدي وهو يقول:

-انتظر قليلًا، أريد أن أتحدث معك..

-تفضل

-سؤال حيرني أكثر من مرة، وهو قريب من موضوعك..

-وما هو؟

-هل ما نعيشه الآن حاضر أم ماضٍ!

تعجبت من سؤاله فقلت له:

-بالطبع نحن نعيش الحاضر، والبارحة الماضي، وغدا المستقبل.

تبسم قائلًا:

-أعلم ذلك، ولكن أرى أننا نعيش الحاضر ونرى الماضي أيضا..

حديثه شد انتباهي، فاعتدلت في جلستي وأنا أقول له:

-أخبرني كيف هذا؟

-جزئية الضوء التي تحدثت فيها في البداية، جميعنا نعلم أننا نرى بالضوء الذي ينعكس على الشكل؛ فتراه عينك. أليس كذلك؟

-بلى

-هذا يعني أنك لا ترى الشكل أمامك في وقته، بل تراه بعد مرور ٠.٠٠٠٠٠٦ ثانية! ينطبق هذا الأمر على النجوم أيضا، فكلما زادت المسافة كان هذا الشكل في الماضي البعيد..

لم أركز في معظم حديثه فقلت له:

-رجاء أعد ما قلت!

تبسم وقال ساخرا:

-ما الذي حدث لك يا صاحب آلة الزمن، لابد أن تركز جيدا، هل تعلم كم تبعد الشمس عنا؟

-لا أعلم..

تأفف وهو يقول لي:

-لا تعلم كم تعبد الشمس عنا وتريد أن تعبر الزمن، على العموم، الشمس تبعد عنا ٨ دقائق ضوئية، يعني أن الشمس إن اختفت الآن؛ لن نعلم إلا بعد ٨ دقائق، يعني هذا أننا نرى الماضي ونحن في الحاضر..

-تعلم، فكرت في الأمر، وأنت على حق، فمجرة "المرأة المسلسلة اندر وميدا" أعلم أنها تبعد عنا ٢مليون سنة ضوئية، وهذا يعني أيضا أنها إن اختفت، فلن نراها إلا بعد ٢مليون سنة ضوئية! وهكذا النجوم أيضا، يختفي نجم ونحن نظل نراه، هذا يثبت ما قلته إننا نحيا حاضرًا ونرى الماضي بأعيننا..

قال مبتسما:

-دعك من كل هذا، هيا لنحتسي بعضًا من الشاي..

كنت أفكر في حديثه طيلة الوقت، هو على حق، ولكن أريد أن أثبت للعالم أجمع أنه يوجد سفر عبر الزمن، كنت كل يوم أتصفح الجرائد الأجنبية؛ لكي أعثر على أي إعلان لمتطوعين، حتى وجدته بعد عام كامل وأنا أبحث، كانت وكالة ناسا الفضائية المختصة بعلوم الفيزياء والفضاء بشكل عام، تعمل على أبحاث علمية وتريد متطوعين، لا أخفي عليكم سرا، المبلغ كان كبيرا جدا ليجعلك توافق دون النظر إلى الخطورة التي ستحدث إن فشل الأمر، ولكن هذا حلمي ولن أتخلى عنه وهذه هي الفرصة، أرسلت لهم أنني أريد أن أخوض هذه التجربة الممتعة، ولكن لم

تكن عن السفر عبر الزمن، بل كانت في موضوع آخر وهو كيف يكون شعور الميت عندما يفارق الحياة..

سافرت إليهم على نفقتهم الخاصة، كان أبى رافضًا ذهابي، ولكن هذا حلمي أنا ولابد أن أحققه. كان المبنى مثل ناطحات السحاب، الغرفة التي دخلتها كانت باللون الأبيض، تبدو كالمعمل. مرت أسابيع قليلة وأنا أجلس هناك، حتى أتى يوم الاختبار وتجربة النظرية..

دخلت الغرفة التي ستقام به التجربة، وكانت غرفة كبيرة لا يوجد بها غير ذراع كهربائي بحجم الغرفة موصل بالكابلات الكبيرة، صعدت وولجت داخل الذراع، ثم أغلقته بإحكام، قام بعمل لفة سريعة جدا تتخطى أي شيء على وجه الأرض من شدة سرعته، مما جعلني أفقد الوعى أو كمان يقولون توفيت لثوانٍ معدودة، ولكن لم أشعر بشيء إلا أنني كنت أحلم فقط.

بعد التجربة، طلبت مقابلة العالم "شانون سيد"، وهو من أكبر العلماء هناك، أخبرته بما أريد فعله، رحب بالفكرة وكان فخورا جدا أنني لا أخاف المغامرة، ووعدني أنه سيتكلم مع الوكالة بخصوص هذا الموضوع، مر عام كامل حتى أتت رسالة منه عبر حسابي الخاص على الفيسبوك، كان يخبرني أنهم وافقوا على تنفيذ المحاولة، ولكن لابد أن يتم التوقيع على عدم مسئولية الوكالة الفضائية في حالة وفاتك، لم أكترث لوفاتي؛ فأنا عديم الفائدة، ولكن إن فعلت هذه التجربة سيُذكر اسمي في التاريخ، ولن أصبح

رقما وسط الدفاتر بعد اليوم، أخبرته أنني أوافق على التجربة. مرت الأسابيع حتى طلب مني أن أسافر إليهم مرة أخرى، ولكن هذه المرة كنت متحمسا جدا، تكلمت مع فريق العمل الذي سيصعد بالمكوك الفضائي، كانوا متحمسين للفكرة أيضا، وقاموا بوضع ميكروفونات صغيرة الحجم مثبتة بشكل جيد، وكاميرات بث مباشر أعلى الخوذة.

كان وليام رائد الفضاء خائف عليَّ جدا، لدرجة أنه نصحني كثيرا أن أفكر في هذه التجربة، فمن الممكن أن أفقد حياتي، ولكن الوقت لن يسمح أن أرجع في كلامي، إصراري هذا دفعه إلى إكمال الرحلة، رأيت الفضاء وللمرة الأولى، كنت أتساءل لمَ سُمي الفضاء، على الرغم من أنه مليءٌ بالكواكب والمجرات والنجوم، يبدو أن الذي سمى هذا الاسم لم يصعد إلى هنا من قبل!

تم الاستعداد لتصوير التجربة، انتابني شعور بالقلق، وسريعا ما ذهب، رأيت بيعيني الثقب الأسود ذو الظلام الحالك، أو كما يقولون المكنسة الكونية التي تبتلع كل شيء، تم تحديد موعد الانطلاق، أخذت لعبة كنت أحبها معي في يدي استعدادًا للقفز، كانوا على اتصال معي وأنا أقفز، ولجت الثقب العجيب، والغريب في الأمر كنت أشعر أنني أنزل داخله بسرعة ثم تحولت فجأة إلى بطء شديد، كنت أرى الطاقم الذي معي بعيني وأنا داخل الثقب، لا أعلم كيف كنت أسمع حديثهم جيدا، شعرت أنهم لا يسمعون ما أقول.

سمعت أحدهم يقول:

-التجربة فشلت لقد احترق!

قلت على الجهاز:

-من الذي احترق؟ أنا موجود هنا وأسمعكم جيدًا..

لم يُجب عليَّ أحد، أراهم بعيني وأنا أنزل بسرعة عبر هذا الثقب، لا أعلم أين نهايته، قُطع الاتصال بيني وبين الطاقم، وعلى الرغم من ذلك ما زلت أسمعهم، نزعت السماعات ولكن ما زلت أسمعهم بوضوح! غادروا الموقع، وبقيت أنا داخل هذا الثقب اللعين، لا أعلم له نهاية، غير أنني تأكدت أنه لا نهاية له!

لك أن تصدق ما أقول أو تكذبني، ولكن هي الحقيقة، أنا أنتظر حتى الموت، ولو عاد الزمن بي ما كنت اقترفت هذا الخطأ.

"بشكروش"

جَحيمٌ لا ينتهي واختبارٌ قد بدأ للتو، ترى تلك الرءوس السوداء المقطعة، لقد ألقيت عليها اللعنةَ إلى الأبد لأنهم رفضوا الانصياع لأوامري، رأوا أنني قبيح؛ فأردتُ أن أعلمهم درسًا لن ينسوه أبدًا، أظن أنهم قد تعلموه، ولكن بعد أن فات الأوان، أخبرني يا صديقي، لمَ أرى الخوف في عينيك يتلألأ مثل الجواهر في أعين الجبناء؟ لا تخف؛ أنا لا أقتل إلا من عصى أمري، هيا لتصبح ملكا معي في هذا الجحيم، فهو لك جنة طالما رضخت بكل جوارحك لبشكروش العظيم.

رد عليه بحدة قائلًا:

-لن أترك جسدي وأدخل إلى عالمك، والموت أهون عندي من أن أخلد في جحيمك أيها اللعين، هيا اقطع رأسي هيا، أنا لا أخشاك! أسمعتَ؟

فاقترب منه بخطواتٍ سريعة، ورفع منجله ليقطع رأسه، ولكنه توقف قبل أن يفعلها وهو يقول:

- لقد اجتزت الاختبار؛ ولك حرية الاختيار إمّا أن تأتي معي بكامل إرادتك، أو تظلّ قابعًا في جحيم دُنياك.

رجع إلى الوراء وابتلع غصته وهو يقول:

-جحيم الدنيا هذه أرحم من جحيمك، أنت كذّابٌ أشِر، تريد أن تستحوذ على جسدي لتخرج إلى العالم لتفسد فيه، ولكن الموت أهون عندي من أن أتركك تغرق في الأرض فسادًا.

أضاءت عيناه شررًا وألقى كلماته قبل أن يختفي في ظلامه الدامس:

-كنا سنمتلك كل شيء ولكنك غبي، أنت لست ندًّا لي وستندم على رفضك هذا.

ثم اختفى ولم يظهر من وقتها، ظلّ ريَّان يفكر كثيرًا في حديث هذا الشيطان عندما قال:

-لقد اجتزت الاختبار.

لم يكن يعلم ماذا يقصد! وعن أي اختبار يتحدث، وهل سيصبح ريان حرًا كما كان؟ كل هذه الأسئلة ظلت تدور في رأسه دون إجابة، كان عليه أن يحيا حياة جديدة ويبتعد عن المدينة، فسافر إلى الأردن وأحب فتاة تعمل معه في فندق هناك، ولكن يبدو أن الأشياء الغامضة لا تنتهي ولا تقبع في مكان واحد!

نرمين، الفتاة التي وقع في غرامها كانت تحمل عدة جنسيات، أتت لتخبره بما يحدث في غرفة رقم خمسة، كانت هذه الغرفة تتمتع بأكثر من ميزة، منها أنها تطل على البحر وهي أكبر غرفة من ناحية الحجم ولا تُحجز إلا لرجال الأعمال..

ظل يسمعها ريان وهي تسرد ما حدث ليلتها وهي تقول:

-أعلم يا ريان أن الأمر محال أن يصدقه عقل، وأنا أخشى أن أتحدث فأُنعت بالجنون!

قال مهدأ من روعها:

-لا تقلقي، أنا سأصدقك..

ابتلعت غصتها من شدة الخوف وقالت بصوت خافت:

-منذ أيام، أتى رجل أعمال إلى الفندق يدعى إدريس نافع، كانت نظراته غريبة وكأنها تحوي شيئًا ما بداخلها، طلب يومها العشاء ولكن في وقت متأخر، لم يكن هناك غيري فاضطررت إلى أن أحضره بنفسي، وياليتني لم أفعل.

قاطعها بفضول:

-لِمَ؟ هيا اكملي..

-لأنني عندما اقتربت من الباب، سمعته يهمهم بكلمات لم تطرق أذني يومًا..

-ماذا كان يقول؟

-لم أفهم منها غير كلمات تبدو أسماء قديمة، مثل عزازيل وكلمة أخرى ظل يكررها كثيرًا، أظنه كان يقول بشكروش.

رجع ريان إلى الوراء في صدمة قد لجمت لسانه عن الحديث لبضع ثوانٍ، لأن هذا الاسم هو اسم هذا الشيطان الذي ظلّ يطارده لأعوام، فقال في دهشة:

-ماذا تقولين؟ هل حقًا قال بشكروش؟

تعجبت نرمين من أنه يسأل عن هذا الاسم فقالت:

-نعم أنا متأكدة من ذلك.

ثم تابعت حديثها وهي تقول:

-فطرقْتُ الباب بخفة، فسمعته يأذن لي بالدخول، فدلفت الباب فوجدته يمسك كتابًا تبدو صفحاته قديمة والغلاف عليه تراب كثير، كان يتابعني من تحت عويناته وأنا أضع الطعام، لمحت شيئًا غريبًا جدًا..

-وما هو؟

-الحائط عليه علامات بالدماء على حرف...

وقبل أن تنطق بها قال ريان مقاطعًا إياها:

-تبدو مثل حرف الشين، أليس كذلك؟

اعتدلت نرمين في جلستها كالذي لدغه ثُعبان وهي تقول:

-وكيف علمت بالأمر؟

قام ريان مسرعًا نحو الغرفة التي تحدثت عنها، وترك نرمين في ذهول، وصل إلى الغرفة وطرق بابها فلم يفتح، فذهب إلى غرفة المراقبة، لينظر ماذا كان يصنع هذا الرجل، وتفاجأ أن الكاميرات ليلتها كانت

معطلة، فعاد إلى الغرفة مرةً أُخرى، ولكن طرقاته هذه المرة كانت عالية حتّى خرج الذي يسكن الغرفة المقابلة وهو يقول:

-ماذا هناك؟ لمَ كل هذا الطرق؟ لو كان بالداخل لفتح لك!

نظر إليه ريان وهو يعتذر عن إزعاجه والضوضاء التي قد سببها، ولكن لاحظ شيئًا على الحائط وراء الرجل، عندما تمعن النظر جيدًا، وتبين له أنها العلامة نفسها التي تحدثت عنها نرمين، يعني أن أحدا ما يحاول استحضار بشكروش، أم أن هؤلاء هم أتباع بشكروش على الأرض؟ أم أنهم انصاعوا لأوامره؟

ترك الرجل ونزل إلى الأسفل، ودلف باب حجرته وظل يفكر بصوت عالٍ:

-لِم لا يتركني وشأني؟ لم أنا بالأخص؟ ولو وقعوا على العقد وصدّقوا حديثه فسيمنحونه القوة ليظهر في هذا العالم، وأنا لن أقف مكتوف اليدين هكذا.

ثم خرج من حجرته متجهًا نحو الغرفة، وقد نوى فتح الباب بأيّ شكل كان، فاستل آلة حادة كي يفتحه، ثم دخل الحجرة فوجد ما كانت تتحدث عنه نرمين، العلامات نفسها غير الشموع الكثيرة التي يبدو أنها قد أُشعلت بالأمس، وكُتُب الطلاسم والتعويذات التي تسمح له بالولوج إلى عالمنا، فأسمك الكتاب فوجد مكتوب عليه طرق استحضار بشكروش. ظل يقرأ فيه ثم تركه وأخذ يبحث في أرجاء الغرفة حتّى وجد دماء كثيرة تخرج من أسفل الدولاب، فاقترب بخطواتٍ بطيئة وفتحه، وهو يختلس

النظر إليه، فإذا به النازل الذي استأجر الغرفة وكان مقتولا ومكتوبا على رأسه بشكروش؛ يبدو أن جسد هذا المتعجرف لم يكن يتمتع بالقوة التي تجعل بشكروش يتجسد فيه ليخرج في هيئته، يعني هذا أنه مازال يبحث عن جسده الجديد، فخرج ريان مسرعًا من الغرفة فلمحه النازل نفسه الذي وجده يطرق الباب وقتها، نزل ريان إلى نرمين ليقص عليها ما جرى، كانت في صدمة وهي تقول:

-كيف فعلت هذا!

رجع إلى الوراء في عجب وهو يقول مستغربًا:

-أنا لم أفعل شيئا!

فأدارت شاشة المراقبة وهي تقول:

-انظر أليس هذا أنت؟ هيا اخبرني لم قتلته؟

نظر إلى الشاشة وهو في حالة من الصدمة، فظهر فيها ريان وهو يطرق الباب، ثم يحاول فتحه بآلة حادة، وظهر عند دخوله الرجل وهو يقف على الفراش، فاقترب منه ريان وأوسعه ضربًا وأتى بالآلة الحادة ثم طعنه بها عدة طعنات، ووضعه في الدولاب، ثم فتح الدولاب مرةً أُخرى وأخذ ينظر إليه ثم هرول خارج الغرفة..

وبينما يشاهد ما حدث، وهو في دهشة من هذا الأمر، هو لم يقتل هذا الرجل من الأصل، حتى سمع صوت صفارة سيارة الشرطة أسفل الفندق، كان قد اتصل النازل الذي يمكث في الغرفة المجاورة بالشرطة،

وأبلغ عن ريان، حاول الهرب ولكنه لم يستطع، وتم القبض عليه، وأُخذت الجثة إلى المشرحة، وأتى الشهود وكانت من ضمنهم نرمين التي رأت كل شيء من خلال الكاميرات، وكانت تحاول أن تحذف هذا الدليل لأنها تحبه، ولكن لم يدركها الوقت، وأتى النازل وأدلى شهادته أنه قد رأى ريان يومها مرتين، مرةً كان يطرق الباب، والمرة الأخرى عندما قتل الرجل وهرب. وشهدت نرمين أيضًا بما حدث، لم يكن حديث ريان عن بشكروش غير ضربٍ من الخيال، حتى ظن المحقق أن ريان يدَّعى الجنون، لم يجد شيئا يثبت به أنه لم يقتل ذاك الرجل، فالتزم الصمت ولم يدافع عن نفسه، ظل قابعا في غرفة بين أربعة جدران، لا تصل أشعة الشمس إليها، حتّى كاد يُجن، فاستيقظ في اليوم التالي على وجه بشكروش وهو يضحك ساخرًا:

-أنتم البشر تضحكونني كثيرا، منذ أمس الرجل الذي قتلته أنا، كان يريد القوة ولكن ليس طموحًا مثلك، وجسده نحيل للغاية لم يستطع التحمل.

في أثناء حديثه، اعتدل ريان ورجع إلى الوراء وهو يقول:

-أنا لم أقتله وأنت تعلم ذلك..

ضحك قائلًا:

-بالطبع أنت لم تفعل شيئا، هو من قتل نفسه ولكن يا صديقي اخبرني كيف ستثبت ذلك؟

لم يرد عليه. فتابع حديثه وهو يقول:

-لدي عرض لك إن وافقت عليه سأظهر أنا براءتك..

-وما هو؟

قالها بغضب، فرد عليه:

-أنت تعلم الشرط جيدًا، كل ما عليك فعله هو إعطائي هذا الجسد، صدقني لن أقتلك، بل سأجعلك تحيا قويًّا.

-إن كنت ستخرجني من سجن إلى سجن، فما الفرق إذن؟

اقترب منه ووضع يده على كتفه وهو يقول:

-الفرق كبير بين أن تحيا وجميع الناس يخشونك، وبين أن تظل في هذا المكان العفن ويحكم عليك بالإعدام يا صديقي..

قال متسائلا:

-وإن رفضت العرض؟

-فاقبل مصيرك المحتوم وقتها..

ثم اختفى بشكروش قبل أن يخبره أوافق أم لا.

ظل ريان يفكر كيف يهرب من السجن قبل أن يُعدم، ولكن كل المحاولات قد فشلت، حتّى علم بخبر مقتل نرمين، الفتاة التي أحبها، فتألم جدًّا حتّى ظهر بشكروش ليلاً وأخبره أن نرمين قد اعتدى عليها الرجل النازل الذي شهد عليك، كان يريد أن يغتصبها ولكنها قاومته لذا قتلها، فقال ريان والشر يتطاير من عينيه:

-أريد أن أنتقم منه ولك ما تريد..

تبسم بشكروش وهو يقول:

-هكذا تكون اللعبة

فظهرت العلامات التي بلون الدم على الحائط بجواره، ثم ظهر الكتاب الذي سيجعل بشكروش يلج عالمنا، أمسك ريان الكتاب وأخذ ينظر إلى عينيه التى تبدو مثل قطعة اللهب، وأخذ يتلو الكلمات التي ستجعل بشكروش يتجسد، بعد دقائق قد مرت وقع ريان أرضًا مغشيًّا عليه، وعندما أفاق وجد نفسه في الفندق في غرفة النازل الذي قتل حبيبته، ووجده مكتفًا بالأحبال ويستنجد ريان قائلًا:

-أرجوك لا تقتلني!

فقال ريان بحدة:

-لمَ قتلتها؟

ظل يقول الرجل:

-لم أقتلها. لم أقتلها.

شعر بالصدق في كلامه وأنه لا يكذب عليه، فسمع بشكروش من داخل رأسه يقول:

-هيا انتقم منه.. ماذا تنتظر؟

علم ريان أن الذي قتلها لم يكن هذا الرجل، بل هو بشكروش، فعلها لكي يجعل ريان يثور ويغضب ليوافق على طلبه، فقام وأسرع نحو النافذة وهو يقول:

-أنت تريد هذا الجسد أليس كذلك؟ ولكن أنا لا أريده.

وقفز من أعلى الشرفة، وظل بشكروش يردد: لا، لا يا غبي؛ سنموت معًا

لم يكملها حتى ارتطم بالأرض، وفارقت روحه جسده ومات معه بشكروش، لم يكن يعلم أن ريان قرأ الكتاب في المرة الأولى، وعلم أن بشكروش عندما يتملك جسد رجل ويموت هذا الرجل يموت معه الشيطان، ويقيّد في الجسد ليصبح مقبرة له إلى الأبد.

تعويذات البعث

"جسد بلا روح أم روح بلا جسد؟"

-أمي، أنا أرى أروى تفعل أشياء غريبة!

-وماذا تفعل؟

-رأيتها تتحدث مع أشخاص على الرغم من أن الغرفة لم يكن بها أحد! كانت تفعل هذا كل يوم!

لاحظتُ الدموع في عين أمي وهي تقول:

-يا وليد، هي صغيرة، وأنت تعلم أن الأطفال في سنها يفعلون مثل هذه الأشياء..

-ولِمَ تبكين يا أمي؟

-لا شيء يا ولدي..

ثم دخلت إلى أبي وهي تقول بصوت حزين:

-لم أعد أحتمل

شعرت أنها تشتكي من تصرفاتي هذه.. هذا أنا وليد، وشقيقتي أروى تبلغ من العمر سبعة أعوام، ولكن تفعل أشياء غريبة، أخبرت أمي أكثر من مرة، ولكن لم تكترث لي، أخبرت أبي وكاد وقتها أن ينعتني بالجنون، هم لم يرَوْا ما رأيت، لك أن تتخيل أن تدخل غرفة شقيقتك

الصغيرة ليلًا، فتجدها معلقة على الحائط، عيناها بضياء لدرجة تجعلك ترتعد خوفًا منها، كانت عينيها تشع غضبا، هرولت وقتها إلى أبي وأخبرته بما رأيت، فأسرع ودخل معي إلى غرفتها فوجدناها نائمة، كاد عقلي أن يجن، بل يبدو أنني جننت بالفعل، عزمت يومها على الحديث معها، أعلم أنها لا تعي ما يجرى حولها، ولكن كان لابدَّ من أن أجد تفسيرا لهذه الأشياء، تتحدث مع أشخاص وتلعب معهم ولا وجود لهم من الأصل، أشعر أنها تنظر إليَّ أحيانًا بغضب فقلت لها:

-أخبريني يا أروى من أعز أصدقائك؟

قالت وهي تبتسم:

-أنا أحب تال

-ومن تكون تال هذه؟

-صديقتي يا وليد، هي تلعب معي كل يوم وتقول لي إنها لا تحبك، لا أعلم لمَ تكرهك؟

-تكرهني أنا؟ ولِمَ؟

-لا أعلم، لكنك تُخيفها

-هل رأيتها قبل ذلك؟

تبسمت وهي تلتفت خلفها وتقول:

-ها هي تقف عند الباب، هل رأيتها؟

نظرت إلى الباب، لم يكن هناك أحد!:

-لا يوجد أحد عند الباب!

-كيف لا تراها؟

تعجبت قليلا ثم أخبرتها أنني أراها، ولمْ أكن أراها بالفعل، ولكن أردت أن أشعرها أنني أرى ما تراه، فقالت:

-أنت تكذب عليّ؛ هي أخبرتني أن لا أحد يستطيع رؤيتها غيري، فكيف تراها أنت؟

شعرت لحظات بدفء خلفي، فوجدتها تقول:

-ها هي خلفك..

أغمضت عيني وابتلعتُ غصتي وأنا أقول:

-بالتأكيد كل هذا من خيالي، أنت تعلم الأطفال في هذه السن، يرون أشياء لا وجود لها، كنت أقول هذا الكلام فقط لأطمئن نفسي، فسمعتها تقول:

-خرجت لأنك لم تسلم عليها..

شردت للحظات:

-ولكن ما العمل؟ هل سأظل هكذا أوهم نفسي بهذه الأفكار، ولكن كيف أثبت أن هناك أرواح شريرة تمكث داخلها؟

حتى هذا اليوم، وجدتها تشاهد التلفاز، فاقتربت منها، وتبين لي أنها تشاهد فيلم رعب، والفرحة تعلو محياها، قلت لها:

-ماذا تشاهدين يا أروى؟

لم تَكْترث لي وكأنَّنِي طَيْفٌ لا وُجودَ له، ويَا ليْتَها لم تلتفت، رأيتُ عينيهَا البَيْضَاء تنْظُر إليَّ ثمَّ أغلقت التِلْفَاز، والضَّحكات المُخيفة التي ألقَت الرُّعبَ في قلبِي وأنا أقُول:

-ماذا بكِ يا أروى؟

ظلَّت تقْترب منِّي وهي تُهَمْهِمُ بكلماتٍ لَسْتُ أفْهَمُهَا، شعرتُ أنَّ أحدًا مَا يقفُ خلْفِي وهو يقول:

-أنا لا أحبُّك..

وكَأنَّ جسدي قدْ تسَمَّرَ مكانِه، العَرقُ بدأ يتَساقَطُ منِّي، شعورٌ غيرُ مُريحٍ على الإطْلاق أن تَرى أُخْتك أمامك بهذا المنْظَر المُخيف، ولا تسْتطيع أن تفعل لها شيئًا، ولا أن تنظُر خلفك؛ لأنَّك لا تعلم ماذا ينْتظِرُك، حاولتُ الالتفات، ولكِنْ نظرات أروى كانت كافية أن تجعلُك لا تُغْمض عينيك للأبد، قلتُ لها بصوتٍ عالٍ لعلَّها تفِيق:

-أنا وليد يا أروى ردي عليَّ!

وقعت على الأرض فهَرْولتُ إليها ممسكًا بها، وأجْلَسْتُها على فِراشها، كُنت أسمعُ أصواتً تصدرُ من ناحية المطبخ، أطرقتُ السَّمعَ وسمِعْتَهُم يقُولون:

-لن نترك المنْزل

يكررونَها، فأسرعت وأقفلت الباب وجلست بجوارها وأنا قلقٌ عليها، كانت تتعرَّق بشدة وزادت حرارتها، أخرجت هاتفي واتصلت بأبي، يومها كان في العمل وأمِّي أيضا قد سافرت البارحة، والعجيبُ في الأمر أن والدي لا يتأخر في عمله إلى هذا الوقت!

اتصلت به وأخبرته أن أروى مرِيضَة جدا وحرارتها مرتفعة للغاية، أخبرني أنه سيأتي بعد ساعة ثم أغلق الهاتف، ظلَّت الأصوات تعلُو حتَّى أحسستُ أنَّهم سيحطِّمُون البَاب، احتضنتُ أروى فقط لأنَّنِي خائفٌ، لا أعْلم كيفَ ذهبتُ إلى النوم بهذهِ السُّهولة وفي هذا الوضع المُخِيف، وما إن استيقظتُ وجدتُ والدي يقول:

-صباح الخير يا وليد، هيا يكْفِي كلَّ هذا النّوم، أنا ذاهبٌ إلى العمل..

كنتُ في دهشة:

-عمل؟ كيف هذا أنا جلستُ أنتظرُك، ومن أتى بي إلى غرفتي!

-يا وليد، أنا أتيتُ من العمل متأخرًا، فوجدتُك متدثرًا في فراشِك، ثم ذهبتُ إلى غرفة أروى فوجدتها في حالة جيدة ولم تكن مريضة كما أخبرتني، ودرجة حرارتها لم تكن مرتفعة أيضًا.

لم أستطع الحديث وقتها، يا لهَا من أَرْواحٍ خَبيثة، كيفَ لهَا أنْ تَفعلُ كلَّ هذا، مرَّ اليوم بسَلام، وبالطَّبع أروى لا تتذكَّر شيئًا ممَّا حدث، وكأنَّني الوحِيد في هذا المنزل الذي يَرى كلَّ هذا، ولكن يا تري من تكُون نَانسي هذه؟!

جلستُ مع أروى حتَّى ترجع أمَّي من السَّفر، أخبرتُ أروى أنَّني أريدُ اللعب مع نانسي. كانت أروى جالسة، وعندما سمعتْ هذه الكلِمات انتفضتْ وهي تقول:

-هي تكْرهُك!

-ولِمَاذا يا أروى؟ أنا لم أفعل لها شيئًا؟!

-هي تكرهك لأنك لا تُحبُّها..

-طالما الأمر كذلك فأريد أن أُصالحها.

تبسمت ثم ذهبت نحو باب ببطء وهي تقول:

-هيا لنذهب إليها..

-إلى أين؟

-هي تسكُن في المنزل المجَاور لنا..

خرجتُ معها فأشارت إلى منزل قد هُجِر منذُ زمن، كنَّا ونحنُ أطفال نَحْكي بعض القصص المُخيفة حول هذا المنزل العجيب، تصميمهُ كان أيضا غريبٌ بعض الشيء؛ شكلهُ مثلَ المنازل التي نراها في أفلام الرعب، اقتربتُ معها من المنزل، كنت متوجسًا خيفة حتى سمعتها تقول:

-يبدُو أنها ليستْ هُنا

-كيف علمْتِ أنَّها ليستْ في المنزل؟

-ألا ترى الباب مغلقًا؟

نظرتُ إليْهِ، كان مفتوحًا على مصراعيْهِ، وما إن التفتُّ إلى أروى لم أجِدها بجواري! أين قد ذهبت؟ لا أعلم ما الذي دفعني لكي أقتربَ من الباب.. فكَّرتُ وقتها في أختي؛ لابدَّ وأنها قد دخلت دون أن أراها، حاولت الرُّجوع ولكن كيف أتركُ أروى هكذا، وما إن اقتربتُ من المدخل الرئِيس، حتَّى رأيتُ النُّور قَدْ اشْتَعل في الشرفة، وشقيقتي أروى تقف وشعرها مُنْسَدِل على وجهها، وكانَت عيْنَاهَا جَاحِظَتَين..

لم أستطع أن أتراجع؛ فهي شقيقتي كيف أتركها! صعدتُ الدرج ببطء فاذا بي أسمع صوتَ أحدٍ يغنِّي بصوتٍ جميل، دخلتُ متخوفًا، فإذا بامرأةٍ جميلةٍ تجلسُ بجوار أروى وهي تغني لها، نطرتْ إليَّ أروى ثم قالت بحدة:

-لِمَ أنت واقفٌ هكذا؟ اجلس!

كنتُ سأجن، كيف تعيش سيدة مثلها هنا؟ وأنا أعلمُ جيدًا أن هذا المنزل لم يُفتح منذُ سنوات؛ بالتأكيد أنا أحْلُم، ويبدو أنه حلمٌ لن ينتهي! جلستُ بالقُرب منها، وجدتها تُعطي أروى كتابًا كي تَقْرأه، تعجَّبتُ وأنا لا أدرك ما الذي يحدث فقلتُ لها:

-هي صغيرة؛ لا تستطيع القراءة

تبسمت ابتسامة جعلتني أرتعد:

-من قال لك هذا الكلام! هي تقرأ، انْظُر

وجدتُ أروى تأْخذ منها الكتاب، وبالفعل قرأت كلامًا غريبًا لم أستطع أن أُفسِّرهُ، غير أنني شعرتُ أنها تقرأ تعويذات، انتفض جسدي وشعرتُ برعشة فجائية، فقلتُ وقتها:

-لا يا أروى، لا تقرئي هذا الكتاب!

نظرتْ إليَّ وهي تراقب هذه السَّيدة وتجلس بجوارها، ثم تبسمت أروى ابتسامة مريبة وهي تقول:

-أنا أقرؤهُ كلَّ يوم، هو جميل، انظر!

وجدتُ صفحات الكتاب بيضاء ولا يوجد بها نقطةُ حِبر، ولكن ماذا كانت تقرأ؟ قلت بصوت عالٍ:

-هيا يا أروى لابدَّ أن نذهب من هنا الآن!

وجدتُ تال تضحك بصوتٍ عالٍ وهي تقول:

-لن تخرج من هنا حتى تقرأ مثلها.

أمسكت أروى أشدها بقوةٍ لتأتي معي، فوجدتها تصرخ وتقول:

-لن أذهب معك!

-يا أروى هؤلاء ليسوا مثلنا!

-وأنا أيضًا لستُ مثلك، تقول هذا لأنك تكرهها..

-أنا لا أعرفها حتى أكرهها!

-هي تال صديقتي..

التفت فلم أجد تال هذه، وما إن التفت لأنظر إلى أروى فلم أجدها هي الأخرى! ما الذي يحدث هنا! هرولت ناحية الباب الذي أغلق في وجهي، وسمعتُ صوت هذه تال تقول:

-اقرأ؛ تخرج..

وظلت تكررها، أغمضت عيني وأنا أقول:

-لابد وأنه حلم

فوجدت أحدًا ما يمسك قدمي، شعرت أنه أسفل مني خشيت أن أنظر إليه، ولكن اللعنة على هذا الفضول الذي جعلني أختلسُ النظر إليه، فإذا برجلٍ كبير شعرهُ أشعث مربوطٌ بسلاسل من حديد، عيناه تقطران دمًا، ظلَّ يقول:

-اخرجي من هنا!

أفلت يده بقوة، وابتعدت عنه وأنا أحاول أن أحطم هذا الباب اللعين فلم أستطع، وما إن التفتُ لأنظر إلى هذا الرجل لم أجده، وعمَّ الظلام المكان، كاد قلبي يقف.. ولكن ما هذا الصوت! هو صوت أروى، نعم أسمعها جيدًا تنادي عليَّ، ولكن لمَ تبكي؟ صحت قائلًا:

-اقتليني أنا واتركِي أروى أرجوكِ!

سمعتُ صوتًا غريبًا يردُّ عليَّ قائلًا:

-اقرأ التعويذات وخذ المفتاح..

ابتلعت غصتي من شدة الخوف وأنا أقول:

-ولكن أنا لا أرى شيئًا على الإطلاق، أين التعويذات هذه؟

وجدتُ كتابا في يدي كنت ممسكًا به من البداية، كيف كنت أحمله وأنا أحطم الباب، ما كان يشغل تفكيري وقتها أروى، أخشى عليها فلو أصابها مكروه فلن أسامح نفسي لأنني السبب في مجيئها إلى هنا، فتحت الكتاب، وكانت حروفه غريبة ولا يبدو أنه مكتوبٌ باللغة العربية، بل كتب بلُغةٍ لا أعرفها فقلت:

-لا أستطع قراءة هذا الكلام

وجدت النور قد عاد، والحروف قد تغيرت إلى كلمات تجمعت لتصبح: (هَبْ هذا الجسد إلى تال لتحيا من جديد)، ثم ظهر فجأة سطر كُتب أمام عيني من العدم: (خذني إلى الجحيم وأترك تال تحيا في النعيم)

ترددت أن اقرأه، ولكن صوت بكاء أروى دفعني لأفعل ما تريد هذه الخبيثة، شممت وقتها رائحة شيءٍ يحترق، نظرت بجواري فاذا بالمنزل قد أضرمت النيران فيه، ألقيت الكتاب وأخذت أسرع نحو الأعلى لأبحث عن أروى فلم أجدها، ولكن رأيت هذه الشيطانة على حقيقتها وهي تقف أمامي وتضحك ضحكات متقطعة، ثم قالت بصوت جَهورِيّ أجَشّ:

-لقد وقَّعت على العقد، يا لك من غبي

نزعت الخوف من قلبي وأنا أقول:

-أين أروى، اتركيها!

تعالت ضحكاتها وهي تقول:

-أروى قد ماتت منذ زمن بعيد، ولكن أنت لم تكن تعلم ذلك..

-أنت تكذبين عليَّ، اخبريني أين هي؟

-ماتت منذ أعوام ودفنت أيضًا، وأنت قد صدمت بموتها؛ ومنذ هذا الحين وأنا أتجسد لك على هيئتها، وأهلك أيضا يتعاملون معك على أساس أنها موجودة كما أمرهم الطبيب، ولكن الحقيقة أنها ماتت وأنت كذلك..

-أنا ماذا؟

-عندما قرأت التعويذات أصبح جسدك هذا ملكي، لا أخفي عليك سرًّا، فأنت المناسب لي، كنتَ في حالة اكتئاب تجعلني أسيطر عليك، وها أنا أخرج من هنا بفضلك.

وبينما هي تتحدث، صعد الحريق إلى الأعلى ثم اختفت، واختنقت أنا من رائحة الأدخنة، ولم أشعر بنفسي إلا عندما أفقت وأنا أرى عربات الإطفاء يحاولون إطفاء المنزل، نظرت إلى الأسفل رأيت شيئًا صدمني، من هذا الذي يأخذونه من بين الحريق؟ اقتربت منه فإذا به أنا! كيف أرى جسدي؟ أنا لم أمُتْ!

صحت فيهم أن اتركوا هذا الجسد، لم يكن يسمعني أحد، أرى جسدي يخرجون به من المنزل، نظرت من النافذة فوجدتهم يضعونه في عربة الإسعاف، حاولت الخروج من المنزل، ولكن ماذا يحدث؟ لا أستطيع أن

أخرج، أشعر أن شيئًا ما يمنعني، حاولت كثيرا ولكن لم أستطع، أرى الناس من النافذة وهو يقولون:

-هذا المنزل يشتعل كل يومين، فماذا يحدث بالداخل، وما الذي أدخل وليد إلى هناك!

تذكرت كلمات تال:

-جسدك ملكي الآن ولن تستطيع أن تخرج إلا إن أحضرت جسدًا آخر إلى هنا!

وأنا الآن سجينُ هذا المنزل منذ سنوات، في الحقيقة لم أفكر في أن أجلب جسدا آخر وأجعله يتألم مثل ما تألمت، ولكن ما يجعلني لا أفكر بالخروج هي أروى شقيقتي، نلعب مع بعض كل ليلة وهي سعيدة جدا ولا تريد أن تخرج، علمت بعد ذلك أن تال كانت مغنية مشهورة جدًا، وأتت روح شريرة فعلت بها ما فعلتهُ بي، واستطاعت أن تخرج هي إلى الحياة مجددًا.

(أرى أنها تحيا الآن، جسد بلا روح، وأنا روح بلا جسد)

-أخي، لم لا أشعر بالنُّعاس؟

-لأننا في ثبات عميق يا أروى

-وأين تال؟ لم لا تأتي وتلعب معنا؟

-لأنها تكرهنا..

عهد الشيطان

-أرجُوك يا أبي أُترك هذهِ المهنة واحترف مهنة أُخرى، ألا تَرى ما حلَّ بنا من خراب؟

- هل مُساعدة النّاس وعلاجهم يُعدُّ خرابًا من وجهة نظرك؟

- أنت تفعل الصّواب يا أبي ولكن فكّر في الأمر...

قاطع حديثي بحدة قائلًا:

-وما الذي حل بنا، قلتُ لك أكثر من مرة ما تراه في المنزل ما هي إلا تهيؤات!

-لا، ليست تهيؤات وأنت تعلم ذلك جيدًا، أم نسيت ما حدث لشقيقتي؟

قالها وهو يبدل ملابسه استعدادًا للذهاب:

-لم أنسَ وأخبرتك ألا تتحدث معي في هذا الموضوع مجددًا..

ربتُ على كتفه وقلتُ معتذرًا:

-أعتذر، لم أقصد أن أُذكرك..

اعتدل في جلسته ونهرني بحده وهو ينفر قائلًا:

-لن أترك شيئًا أكرمني الله به، لن أدع الناس تتألم..

-بالقرآن يا أبي، ليس بمساعدة الجن..

نظر إليَّ بغضب وهو يقول:

-لا تتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى، هل فهمت؟

أومأت برأسي ثم أردفت بنبرة يملؤها الحزن:

-كما تريد يا أبي..

انصرفت من أمامه وأنا أفكر كيف أجعله يترك هذا الأمر، منذُ أن تعلم الدجل وقد حلت اللعنة علينا، فقد انتحرت شقيقتي لأنها ترى أشياء مريبة في المنزل، ولم تستطع أن تحتمل كل هذا، فألقت بنفسها من الشرفة.

كان والدي كل ليلة يهمهم بالحديث، لا أعلم ماذا يقول ومع من يتحدث، هو كان دائم الجلوس بمفرده، مع مرور الوقت، علمت أنه يستحضر الجن ويسخره لعلاج الحالات التي تعاني من المس كما يزعم، أخبرته أن هذا الأمر شرك بالله، قال وقتها أنه جن مسلم والعلماء قالوا يجوز الاعتماد عليه.. ولكن كيف يبتعدون عن الشّرك وهم يعوذون بغير الله، حاولت إقناعه أكثر من مرة، لكنه كان يرفض وبشدة، كان دائمًا ما يُخبرني أنهُ يُساعد المحتاجين ولا يتقاضى منهم شيئا، ولكن شعرت أنه يخفي شيئًا آخر وراء هذا الأمر، ومن هنا بدأتُ أراقِبه، فكان ليلًا يذهبُ بعد أن أخلد إلى النوم، لا أعلم إلى أين؟ ولكن لابدَّ وأن هذا هو الشيء الذي يخفيهِ عني، خرجتُ وراءهُ بخطواتٍ بطيئة دون أن يشعر بي، فوجدته متَّجِهًا إلى المقابر! ما الذي يجعله يذهب إلى هذا المكان ليلا!

دخل المقابر ووجدته يخرجُ مفتاحًا من جيبه، ثم قام بفتح المقبرة، إنها مقبرة جدي التي دُفنت فيها شقيقتي إيمان، ولكن لمَ يفتحها؟! وما الذي ينوي فعله، وقفت بعيدًا منتظرًا فلم يخرج، حاولت الاقتراب وأن أختلس النظر، فلم أرَ شيئا لأن الظلام كان حالكًا، أخذني الفضول أن أقترب أكثر فأكثر، فإذا بباب المقبرة يُغلق من تلقاء نفسه.. خشيتُ على أبي فهرولت أُمسك بالباب وأنا أصرخ:

-اخرج يا أبي من هناك

شعرتُ أن أحدهم قد وضع يده على كتفي، مما جعل جسدي يتسمّر في مكانه، فالتفت إليه فإذا بأبي.. ولكن كيف؟.. كيف خرج وأنا كنت محدق النظر إلى المقبرة ولم أرهُ؟ فقال لي وكأنَّ الكلمات قد خرجت منه ميّتة لا روح فيها:

-لماذا جئتَ إلى هنا؟

تلعثمتُ في حديثي وأنا أقول:

-أتيتُ وراءك.. ولكن اخبرني لم تأتي إلى هنا؟

صعقتُ وهو يقول:

-من الذي أتى وراء الآخر، أنا رأيتُك تستيقظُ من نومك ودلفت الباب، فخرجت وراءك لأنظر إلى أين تذهب.

وقبل أن أخبره أنني من قد رأيته يخرج فقال:

-أعلم لم أتيت.. كل هذا لأنك تشتاق إلى شقيقتك.

أومأت برأسي كي أجعل الموقف يمر بسلام، فأخذني وذهبنا، كنت يومها سأجنّ، كيف خرج من المقبرة دون أن أراه! هل من تبعتهُ ليلًا لم يكن أبي! فتعمدتُ في اليوم التالي أن أظلّ مستيقظًا، وأرى أسيخرج مرةً أُخرى أم لا، وهذا ما جرى بالفعل، فوجدتهُ يرتدي ملابسه، ثم دلف الباب ببطءٍ شديد، ذهبتُ وراءهُ وأنا على يقينٍ من أن هذا الشخص الذي أتبعه هو والدي، توجه نحو المقابر مرةً أُخرى، كنت متخفيًا منه فإذا به يفتح المقبرة نفسها وولج فيها، اقتربت أنظر ماذا يفعل، رأيته يعدل جسد إيمان، وجلس بجوارها ممسكًا يدها التي قد تحولت إلى كومة من العظام وهو يهمهم بكلماتٍ لا أعلمها، ثم أخرج مقصًّا وأخذ يقصّ لها شعرها، لم أستطع أن أنتظر أكثر من ذلك وكأن قدمي قد تخلَّت عني، أعطيت المقبرة ظهري وأنا أخطو نحو الخارج ببطء، فسمعت باب المقبرة يغلق، ارتعد جسدي وأنا ألتفت خلفي فإذا بها شقيقتي إيمان تقف أمام القبر، ولكن كيف هي قد ماتت! أغمضتُ عيني وأنا أقول:

-أنا أحلم، كل هذه تهيؤات..

سمعتُ ضحكتها التي ألقت الرعب في قلبي، وما تزال عيناها مغمضتان وتسارعت نبضات قلبي، نعم، اشتقت إليها، ولكن هذه ليست شقيقتي، اقتربتْ مني وهمست في أذني قائلةً:

-ألم تشتقْ إليّ؟

ابتلعتُ غصّتي وأنا استند إلى الجدار الذي بجواري، لا أقوى على الحراك فانزلقت قدمي، لم أشعر بشيءٍ وقتها وعندما أفقت وجدتُ نفسي على فراشي، صحت وأنا أقول:

-أنا لا أحلم، كدت أن أُجن..

أتى والدي مسرعًا وهو يقول:

-ماذا هناك يا ولدي؟

نظرتُ إليه وتساقط الدمع من عيني فاحتضنني قائلا:

-لا تخف يا ولدي، ستكون بخير..

حاولت تجميع كلماتي التي لم تستطع الخروج، وما إن استطعت التحدث حتّى قلت:

-لم أعد أتحمل يا أبي..

جلس بجواري وهو منصت لي:

- ما الذي حدث؟

-أبي، أنا أراك تخرج كل ليلةٍ وتذهب إلى قبر إيمان..

بدا على وجه أبي التعجّب فقلت له:

-أعلم أنك لن تصدّقني، ولكن هذا ما حدث بالفعل، أنت ذهبت إلى قبرها ووجدتك تجلس بجوارها، وما إن التفت حتّى وجدتُ إيمان تقف أمام القبر..

قالها بنبرة كالفحيح وعيناه تبرقان:-لمَ ذهبت إلى هناك؟

شعرتُ أنه يخفي شيئًا، فقلت بغضب شديد:

-أنت يا أبي من يذهب إلى هناك!

قالها نافيا:

-أنا لم أذهب إلى أيّ مكان..

وضعتُ يدي على رأسي من شدة التفكير، وقلت له:

-لا أعلم يا أبي ما الذي يجرى، ولكن أرجوك اترك مهنتك هذه؛ فهي سبب كل شيء.

تركني وذهب دون أن يرد عليّ، جلستُ أفكر كيف أتأكد أنه هو من يذهب إلى قبرها.. خطرة إليّ فكرة، فأحضرتُ هاتفي وشغلت الكاميرا ووضعت الهاتف بجوار الباب ليسجل خروجه، وبالفعل أتى الليل فسمعته يهمهم كعادته، ثم أخذ يبدل ملابسه وخرج، أمسكت هاتفي بعدها وشاهدت المقطع المصور، وتأكدت بعيني أنه خرج وها أنا أمتلك دليلًا أمامه، توجه كعادته إلى المقابر، وأخذ يفتح الباب، كنت أراقبه دون أن أقترب هذه المرة، وأنا محدق بالقبر منتظرًا خروجه، تجمعت فوق المقابر مجموعة من الغربان، وظل نعيقهم يعلو أكثر فأكثر، وكأنَّ أحدهم قد مات للتو! رفعت ناظري عاليًا وأنا أنظر إليهم فوجدتُ أبي يقف أمامي، لم أشعر باقترابه مني، ولم أسمع صوته حتى فقط وجدتهُ أمامي! بدا وكأنَّ عينيه قد غارتا وهو يقول:

-لمَ لا تأتي إلينا؟

قالها بنبرة كفحيح الحية، ارتعدتْ يداي وهو يُمسك بهما فرجعت القهقرة وأنا أقول:

-ماذا تفعل في قبر إيمان؟

قالها وهو يمسك كتفي:

-أنا أباك فلا تخف، هيا تعالَ لترى إيمان، ألم تشتَق إليها؟

-هي توفيت يا أبي..

-من قال ذلك يا ولدي، ها هي هناك..

جذب يدي بقوة وهو يشدّني نحو القبر لأنظر، فوجدتها تجلس في حالة يكتنفها الغموض، وتبتسم ابتسامة مريبة جعلت كل أوصالي ترتبك، لاحظتُ أن أسنانها تنزف دمًا وهي تقول:

-هيا يا أخي أريدكَ بجواري..

التفت إلى أبي فلم أجده، فنظرت إليها فوجدته يجلس بجوارها، أشار إليَّ أن أدخل إليهم، وكأن عقلي قد توقف عن العمل، وجدت قدمي تخطو نحو قبرها فدلفت الباب وعلى حين غفلة سمعته يقفل ورائي وعمّ الظلام المكان، شمعة قد أضاءت وجه إيمان، فاتسع بؤبؤ عيني وأنا أنظرُ إليها في صدمة قد لجمت لساني عن الحديث وهي تقول:

-اشتقت إليك يا أخي، لقد سامحته يا أخي..

لم أكن أعلم من تقصد، ولم أكن أُصدق ما تراه عيني، لمَ اقترفت هذا الخطأ ودخلت إليها؟ أأنا أحلم أم هي حقيقة، لا أدري ولا أعلم لمَ أنا هادئٌ هكذا، سمعت صوتا يأتي من الخارج يقول:

-رحمك الله يا ولدي..

هذا صوت أبي، أنا أعرفه جيدًا، ولكن لمَ يبكي؟ أنا لم أمُت، صحت بصوت عالٍ وأنا أطرق الباب بقوة:

-أنا هنا يا أبي، أنا لم أمت، هل تسمعني؟

لم يرد عليّ وتلاشى صوته، كيف أصبحت سجين هذه المقبرة، وأين قد ذهبت إيمان؟ لم تكفّ يداي عن طرق الباب، أردتُ أن يسمعني أحد، فجأة فتح الباب من تلقاء نفسه وكأنّ الرّوح قد رُدّت إلى جسدي من جديد، هرولت خارج المقابر متجهًا إلى المنزل، وجلست في غرفتي وأنا أبكي من شدة الخوف، فسمعت باب غرفتي يطرق، كان أبي يريد أن يدخل إليَّ، ففتحتُ الباب فلاحظ بكائي:

-لمَ تبكي يا ريان؟

-لا شيء..

-هل ذهبت إلى المقابر مرةً أُخرى..

تذكرت أنني قد التقطت مقطعًا له أثناء خروجه فقلت سائلًا:

-ألم تخرج إلى أيّ مكان اليوم؟

-لا، لم أخرج..

أخرجتُ الهاتف وأنا أقول له:

-وما هذا اخبرني؟

نظر أبي إلى المقطع وهو يقول:

-لمَ تقوم بتصوير باب المنزل؟

نظرت إلى المقطع مرة أخرى، لا وجود له فيه، نظرت إليه مستغربا:

-كيف هذا؟ أنا متأكد أنك قد خرجت..

قاطع حديثي:

- يا ولدي لو أنني خرجت فلِمَ سأخفي عليك؟

جلست على فراشي أضع يدي على رأسي وأنا أقول:

-أنا سأجنّ..

ربت على كتفي وهو يقول:

-اهدأ فقط وسنعرف ما الذي يحدث..

ثم تركني وذهب، في صباح اليوم التالي دخلت غرفته، وأنا أبحث لا أعلم عمَّ أبحث، ولكن أي شيء يخبرني ماذا يفعل، فوجدت صندوقًا كبيرًا كان يخبئه أسفل الفراش، فتحته فوجدت أوراقًا كثيرة وما جعلني في دهشة، هو أن هذه الأوراق التي قد كتبها والدي بخط يده يقول فيها:

-أعلم يا ولدي أنك ستكرهني كثيرًا عندما تعلم الحقيقة، لقد أخطأت حين وقّعت على العهد الذي بيني وبين الشيطان، أنا من تسبب في قتل إيمان لكي أجعلها قربانًا لهم.. فعلت أشياء لم يقوَ على فعلها الشياطين،

أردتُ أن أحصل على القدرة العجيبة بأيّ شكلٍ كان، ولكن قد شعرت بالذنب حيال إيمان؛ فهي لم تنتحر، أنا من دبرّ انتحارها كي أحصل على جسدها وأجعله قربانًا لهم، كنت كل يوم أذهب إليها وأحصل على شعرها كي أصنع به ما يأمرونني به، حتّى ظلّت تأتي لي في منامي وتشعرني بالذنب، لم أحتمل كل هذا، فأخلفت وعد الشيطان ولم ألتزم بالعهد الذي وقّعت عليه بدم شقيقتك، كان ينص العقد على أنني لو لم ألتزم به فلابدَّ وأن أقدم قربانًا آخر، وهذا ما لم أستطع فعله، ففضلّت الموت على أن أحيا في هذا العذاب، أعلم أنك لن تسامحني، ولكن لا تجعلهم يستحوذون على جسدك، بالتأكيد سيقتلونني لذا كتبت هذه الرسالة لك.

ألقيتُ الأوراق أرضًا وخرجت مسرعًا إلى صديقي لأتأكد من شيء، قابلني وكان وجهه متخوفا وأنا أسأله عن أبي، وظهر التلعثم في حديثه وهو يقول:

-لم أرَ أباك اليوم، لماذا تسأل عنه؟

عيناه كانتا تدوران وكأنَّه يخفي شيئا، جذبتُ يده بقوة وقلتُ له:

-أنت تخفي شيئًا! هيا اخبرني..

ظلّ يتلاعب بالكلمات حتى أخبرته بما يحدث معي، فقال بنبرة يملؤها الحزن والأسى:

-لم أرد أن أخبرك ما قال الطبيب لي..

-عن أي طبيبٍ تتحدث؟

جلس وهو يقول:

-لابدَّ وأن تعرف الحقيقة، بعد وفاة شقيقتك توفي والدك.

-كيف توفي وأنا أراه في المنزل!

تابع حديثه:

-تعرضت أنت إلى صدمة جعلتك تحدث نفسك كثيرًا، كنّا نراك تذهب كلّ يوم ليلا ناحية المقابر، وساءت حالتك وكنا مقدرين ما أنت فيه، جاء الطبيب وأخبرنا أن نتعامل معك وكأن والدك مازال حيا.

لم أستطع أن أستمع إليه، وتركته وذهبت إلى المنزل مسرعًا، أبحث عنه في كل الغرف، حتّى وجدت الورق الذي يثبت وفاة أبي! سمعت باب الشقة يطرق، فإذا بهذا المسخ الذي خُيّل لي أنه أبي، وجدتهُ ينظر إليّ وهو يقول:

-لمَ تقف هكذا يا ولدي؟

جلست وأنا أقول:

-أين كنت يا أبي؟

رد قائلًا:

-كان يوما عصيبا جدا، لقد عملت ثلاث ساعات فوق المدة التي أعملها، أنت تعلم أن العمل أصبح مرهقًا جدًا.

وفي أثناء حديثه، أخرجت هاتفي وشغلت الكاميرا لألتقط له صورة، وحدث ما تخيّلت، لم يظهر في الصورة! نظرت إليه مندهشا فرأيته يبتسم ابتسامة مريبة وهو يقول:

-الآن قد علمت الحقيقة

أمسكتُ المصحف وقرأت ما وجدته أمامي، ظلّ هذا المسخ يقول لي:

-أنت من سيكمل ما بدأه والدك..

علا صوتي وأنا أقرأ، فشعرت بالنيران تتصاعد وإذا بالأثاث يشتعل، هرولت لأخرج من المنزل فأغلق الباب بقوة، وما إن مرت دقائق حتى فقدت الوعي، ولم أشعر بشيء. أفقتُ وأنا أرى الناس يحاولون إخماد الحريق، وأنا أسمع أصواتهم وأرى وجوهم ويعلوها الأسى، حتى اقترب أحدهم ليسحب جسدي إلى الخارج، سحب الجسد وبقيت أنا، كنت أراهم يسحبون جسدي وأنا أنظر إليه.. كيف هذا! خرجت من المنزل وراءهم، وبعد أن انتهوا وجدتهم يأخذون جسدي إلى المقابر، صِحت فيهم أن اتركوني، وجدتُ أبي وإيمان يقفون خارج المقبرة وهم سعداء.. هل لأنني قد أتيت إليهم؟ لا أعلم، ولكن لا يهم، فأنا أحيا معهم الآن.. لكن ما أضحكني قول صديقي في أثناء السير بجسدي:

-لقد ارتاح من هذا العالم..

فمن الذي أخبره أن الراحة تأتي بعد ذلك، ألا يعلم أنني لم أمُت بعد.

قاتل القراء

أَنْ تَكْتُبَ كِتَابًا لَيْس بالأَمْرِ العَسِير، ولكن أن تتقبَّل النَّقْد هُو عصَبُ الأمر كلِّه، وهذا ما لم يَكُن موجُودًا عندي، أنا مولعٌ بالكتابة، ولكن أُسْلوبي كان رديئا للغاية؛ لم يكُن أحد يُعْجبُ بما أكتبُ غَيْر زوجَتِي وأظنُّهَا كانت تُجَامِلُنِي، حتى سمعتها تقول لأُخْتِها إنَّها تتعَجَّبُ ممَّا أكتبُ وترى أنني لا أصْلِحُ لأن أكون كاتبًا، لا أُخْفي عليْكُم سرًا لقد قَتلتُها وأخْفَيْتُ جثَّتها؛ كيف تتجَرَّأُ هذه اللعينة وتتفوَّه بهذا الحديث؛ لا أهتم الآن فقد أخذت جزاءها، كنتُ أقتلُ كل من كان ينتقِد عملي أو أيَّ شيءٍ في شخصيتي، صاحب دار النشر رفض نشر روايتي في بداية الأمر، وأخبرني أنها لا تصلح للنشر، فهددته بأولاده وعندما علم أنني لا أمزحُ وافق، وخرجت روايتي إلى النُّور، وعزمت من يومها أن أثبت لجميع الناس أنني أفضل كاتب في العالم، بعد صدور الكتاب أخذت ردود الأفعال تُسمع في كل مكان، ظهرت شرذمة ممن استَطاعُوا أن ينعتوا روايتي بهذا الشكل.. فكرت في الانتقام منهم جميعًا حتى جاءت خاطري فكرة، ولا أعلم لمَ لمْ أفكر بها من قبل، الفكرة تتلخص في أنني سأنشئ صفحة بعنوان الرواية، وأنتظر التعليقات منهم، لم يمُر يوم حتى دخل من يقذفني بأقذر الإهانات، لم أحتمل ما قال، فبحثتُ عن حسابه وعلمت أنه من بلدة قريبة مني،

وذهبت إليه وقابلته على أساس أنني مندوب لدى إحدى الشركات، وأخبرته أنها مسابقة وأنه سيحصل على مبلغ كبير بمجرد أنْ يُجيبُ عن الأسئلة، رحب بالفكرة وكان الفضول يملأ رأسه حول الأسئلة، حتى سمعني أقول:

-السؤال الأول، هل تحبُ القراءة؟

أومأ برأسهِ وقال بثقة:

-نعم، أحبُّها كثيرًا

-من القرَّاء الذين تقْرأ لهُم؟

-أقرأ للدكتور أحمد خالد توفيق ومصطفى محمود والرافعي والعقاد وغيرهم..

-هل قرأت يومًا رواية رديئة؟

مسح بيديه على رأسه محاولاً الَّتذَكُّر، وأردف قائلًا:

-نعم، تذكرت، كانت رواية تدعى "العبق" كان من الأولى أن تُسمَّى "العبط" وليس "العبق"..

ظلَّ يضحك ويمزح بصوتٍ عالٍ فقاطَعتُه:

-يكفي هذا، لقد ربِحْت في المسابقة، ولكن لابد أن تأتي معي لكي تستلم الجائزة..

ظهرت الفرحة على محياه وقال بسعادة غامرة:

-تعلم، هذه المرة الأولى التي أفوز بشيء

-وستكون الأخيرة..

-نعم؟ ماذا تقول؟

-لا أقول شيئا، هيا

خرجنا من منزله وأخذتهُ في سيارتي، وصلنا إلى منزلي وقدمتُ له مشروبا كنتُ قد وضعتُ فيه منوما، أخذه ولم يدرِ شيئا، أحضرت العُدة وأخذتُ أنزع أحشاءه بيدي، هذا جزاء له على ما اقترف في حق روايتي، أخفيت جثته كما فعلت بزوجتي، كنتُ أخشى أن تعلم الشرطة الأمر، لذا كنت حريصًا جدًا على إخفاء الجُثث، وطالما لا توجد جثة، فلا توجد قضية من الأساس، ولن يعثر أحد على هذه الجُثث مهما حدث، هل تعلمون لماذا؟ لأنني أجعل جثثهم تتحلل ولا يتبقى منها شيء، حتى دخل شابٌ يبدُو من حسابه أنه في سن العِشرينات، كان يمدح الرواية وقال أنه معجبٌ بها ويريد أن يُقابل الكاتب.. فكرت لمَ لا أجعل أيضًا من يمدح الرواية يحظى بالسعادة؟ فأحْضرت له هدية وقمت بالذهاب إليه، كان سعيدًا جدًا بوجودي، ولكن فجأة تغير كل شيء عندما علمت أنه صحفي مشهور بالانتقاد، ظهر هذا جليا من الشهادات المعلقة على الحائط، علمت وقتها أنه فخ قد أعد لي، حاولت ألا أظهر شيئا فقلت له:

-لابد أن أذهب الآن، اعذرني ولكن لم تخبرني اسمك..

قال متبسما:

-أنا عدنان

-وماذا تعمل؟

-أنا طباخ ماهر في مطعم جراد البحر

أعلم أنه يكذب عليَّ، وأعلم أيضا أنه غبي، فكان من المفترض أن يخفي هذه الشهادة فقلت له:

-هذا جيد، ومن حسن حظي أني تعرفت إليك..

قام وهو يقول:

-بل أنا الأسعد يا أخي، أشكرك على تلبية طلبي..

-لا شكر على واجب، ولك عندي هدية..

-هل هذا صحيح؟

-نعم، وستحصل على نسخة من روايتي الجديدة

قال لي متعجبا:

-ولكن أنت قلت عبر حسابك على الفيس إنك لم تبدأ فيها حتى الآن!

-نعم، هذا صحيح، ولكن وجدت موضوعا رائعا اليوم، وأنت تعلم أن رجلا موهوبا مثلي يكتب الرواية في عشرة أيام لا أكثر..

-نعم، أنت رائع حقا، أنا سعيد بمعرفتك..

خرجت وقتها وأنا أنوي على الشر، وهو ينوي أيضا على الشر. وما إن جنَّ الليل عليَّ حتى أحضرت الأدوات التي سأقضي بها على هذا المعتوه، هل يراني غبيا كي أقع في هذا الفخ.

ذهبت إلى منزله ليلا وقمت بالانقضاض عليه، لم يستطع أن يفلت مني، أعطيته ضربة قوية على رأسه ففقد الوعي، أخذته وخرجت ومن سوء حظه أنه كان وحيداً، فلم يشعر أحد باختفائه إلا بعد أيام من أصدقائه الصحفيين.

لا أخفي عليكم سرا، أنا لم أقتله، بل جعلته يحيا لكي يذوق العذاب، كيف له أن يستدرجني هذا الوقح، لم أعلم أن لديه فتاة مغرمة به حاولت أن تبحث وراء اختفاءه، كان لابد أن ألقي الرعب في قلبها لكي تعرف مع من تتعامل؛ فأرسلت لها رسالة أهددها أنها لو ظلت تبحث ورائي ستندم، ولكنها لم تصغِ لي، وما جن جنوني أنها أبلغت عني، وأتى بعض رجال الشرطة إلى منزلي ولم يلاحظوا شيئًا غريبًا عندي، هم لا يعرفون أنني أجعل الجثث تتحلل ولا يتبقى منها شيئا؛ فلم يشك الضابط ولو للحظة واحدة أنني وراء ما يحدث، يبدو المنزل طبيعيا جدا الكتب في كل مكان، فقال لي:

-هل أنت مغرم بالقراءة إلى هذا الحد؟

-نعم، أنا أيضا كاتب ورائي، يبدو أنك لم تقرأ لي شيئا حتى الآن؟

-أنا لا أحب القراءة، ولكن من الممكن أن أحصل على نسخة، فمن الممكن أن تصبح أنت سبب حبي للقراءة..

قمت وأحضرت له نسخة من الكتاب فأخذها وهو يقول:

-هل تعلم أني سمعت عن كتابك هذا؟

-وماذا سمعت؟

-وسأخبرك، ولكن هذا ليس رأيي، بل ما سمعته في حلقات على اليوتيوب، تكلمت عنه أنه غامض وكل من يقرأه إما أن يختفي في أمور غامضة وإما أن ينتحر!

حاولت أن أجعله يظن أنني لا أكترث لهذا فقلت:

-أنت تعلم عندما ينجح المرء في شيء فترى الناس تهاجمه، ولكن أنا لا أقتنع بهذا الكلام وبالعكس هذه الحلقات ما جعلت كتابي يعرف عند الناس، فالإنسان منا يحب الأمور التي يكتنفها بعض الغموض، ولكن اخبرني ما اسم البرنامج الذي تكلم عن روايتي؟

قام الشرطي وهو يقول:

-أظن اسمه (المتحدث) تقدمه فتاة، والغريب في الأمر أنها هي من قدمت البلاغ فيك!

كنت في دهشة فقلت في ذهني:

يعني هذا أن الشرطي كان يستدرجني في الحديث ونجح في ذلك..

سمعت صوتا من داخل عقلي يقول:

-لا تَدعهُم يسْخرونَ مِنك، أنتَ أفضلُ منهُمْ جميعًا، أرَى الشَّر يلمعُ في عيْنيكَ ويتخلَّل بهِما، صدِّقْني أنتَ في الأصل تَميلُ إلى الشَّر، تُحِبُّه، تعشَقه، أنْتَ مِلْكُ الظلام؛ فالظَّلامُ هُوَ كلُّ شيءٍ في هذا الكُون، سأسَاعِدُكَ، هيا خُذْ السّكين واقتلُ كلّ من يُغْضِبُك، أعلم أنَّك غَضِبت حينَ انتقدُوا روايَاتك،

حسنًا، لا بأْسَ يا صديقِي، اقْتلهم ولن تشعُرَ بشيء، لن تشعرَ إلاّ بالسَّعادة تتدفّقُ إلى قلبك لتجعلُك تَحيا من جديد، ولا تأْخُذك بهِم رأفة ولا رحمةً، فهم لا يستحقُّون ذلك، كيف تجرَّأوا على انتقادك يا صديقي، أنت تعلم أن مهنة النَّاقِد هذه مهنةُ الحاقدين، تراهم لا يتركُون عملًا إلا أظهَرُوا فيهِ كلّ لحْنٍ خفيّ، وترى عندهُم اللَّحنَ الجليّ في حديثهم ولا يكترثُون له، صدِّقني، الحلّ هو قتلهم جميعًا، هيا.. هيا لا تتردّد، فأنا معك لا تقلق، ولكن يا تُرى بمن نبدأ؟

قاطع الشرطي شرودي:

-حسنا، سنغادر الآن..

رمقني بنظرة توحي أنه يعلم حقيقتي وقال ساخرا:

-تعلم، الغريب في الأمر أن الفتاة التي تقدم الحلقات لم تختفِ حتى الآن..

تبسمت أخفي ملامح وجهي التي ظهر عليها القلق:

-هل تصدق هذه التخاريف حقا؟ لا يوجد كتاب ملعون، هذه كذبة أبريل أم ماذا؟

ضحك ثم غادر المنزل.

جلست والغضب يملأ قلبي:

-يا لها من غبية، لابد أن أعلمها درسًا لن تنساه أبدا، ولكن ليس الآن، فلو قُتِلَتْ فسيكون أنا المتهم الوحيد، ولكن لن أتركها..

دفعني الفضول إلى أن أشاهد الحلقات التي تحدث عنها الضابط، وياليتني لم أشاهدها، شعرت أن بركانا يغلي في قلبي، لا أعرف ما الذي جعلني أحضر المنشار الكهربي، وذهبت إلى منزلها وعزمت على قتلها، هي قالت إنني لا أستطيع كتابة مقال متوازن، وكان لابد أن أثبت لها أنني أستطيع، ولكن سأكتبه على جسدها لتعرف كم هو متوازن هذا المقال..

تخفيت وذهبت إليها، وما إن دخلت منزلها حتى وجدت رجال الشرطة قد حاصروا المكان بالكامل، وقبض عليَّ مع أنني أعلم أنه فخ، ولكن لم أتحمل أن أرى أحدا ينتقد ما أكتب؛ أكره النقاد، لا أعلم لمَ أدخلوني مستشفى الأمراض العقلية؟ أنا لست مجنونا، أنا كاتب موهوب، يا لكم من أوغاد لا تعلمون مع من تتعاملون.

وها أنا بين جدران المستشفى أحدثكم وأبشركم أنني لم أنتهِ بعد من الكتابة، سأظل أكتب حتى تفيض روحي إلى السماء، فالكتابة هي غذاء الروح، صحيح، إن روايتي الجديدة بعنوان الشيطان الأخرس، وسأنتهي منها بعد عشرة أيام، ألم أخبركم أنني موهوب ولا تقلقوا عليَّ سأخرج قريبا. وداعًا.

لعنة روح

الحبُّ وحْدهُ لا يكفي، والذِّئاب البشرية لا ترحم. "آلاء" لم تُكمل العِشْرين من عُمرها، فتاة مثل أيَّة فتاة، تحلم أن تصبح طبيبة ماهرة، حلمها أن تعْمل في مستشفى ٥٧٣٥٧، تحبُّ الخير ولكن ما غيَّر حياتها رأسًا على عقب هو الحُب أو لعنة الحب.. في بداية الأمر، أقنعها أنَّهُ يحبها وأنه سيهلك بدونها إن تركَته، لم تكن تعلم ماذا ينوي أن يفعل بها، أصرَّ كثيرًا أن تخرج معه، كانت ترفض وقتها وبشدة حتَّى جاء إلى منزلها وأخبرها من الشرفة أنه على استعداد أن يطلب يدها. في صباح اليوم الثاني أرسل لها رسالة مكتوب فيها:

(أنتِ ستكونين زوجتي؛ فلمَ لا نخرج معًا؟)

وسوس لها الشَّيطان حتى أقنعها بالخروج معه، وعندما التقت به طلب منها أن تذهب معه إلى الشقة موضحًا لها:

-أنا أخشى أن يرانا أحد ويخبر والدك.

كانت تتحرك معه بثقة عمياء؛ فهذا هو الشخص الذي قد حصل على قلبها، وصلوا المنزل كانت رائحته كريهة؛ ما يعني أن الشقة لم تُفتح منذُ وقت طويل، أخبرها أنه لا يجلس هنا كثيرًا وأن هذه الشقة ترجع إلى والده.

جلسوا يتحدثون حتى سمعت صوت طرقات الباب العالية؛ انتفض جسدها خوفًا وقالت:

-هل تنتظر أحدا؟

قال بابتسامة بلهاء تخفي كثيرا:

-يبدو أنه "عم عبده" السَّباك.

-ألم تقل أن المنزل لم يفتح منذ فترة بعيد؟

-يبدو أن والدي مَن أرسله..

قام وفتح الباب، لمحت آلاء شابًا يقِف معه فأدخله وقام بإغلاق الباب بقوة؛ فعلمت وقتها أنها وقعت فريسة بين يديهم. دخل الشاب وجلس بجوارها وهو ينظر إلى جسدها بإغراء، ثم أدار رأسه محدثًا هذا الوغد الذي استدرجها إلى هذا المنزل قائلًا:

-ليست جميلة بقدر ما أخبرتني، ولكن لا بأس تكفي ليومٍ واحد..

-ولكن قبل أي شيء أين المال؟

أخرج صديقه المال من جيبه وقال:

-هذه مائة جُنيه.

-ماذا؟ مائة جنيه فقط؟

-نعم، أنت قد خدعتني؛ فقلت إنها جميلة وأنا لا أرى هذا الجمال.

كانت آلاء تتابع حديثهم وهي ترتعد؛ لا تعلم ماذا تفعل ولكن عندما سمعته يقول:

-هي معك، افعل ما تشاء، ولكن اترك المنزل نظيفًا قبل أن تغادر.

قالت آلاء بصوت عالٍ:

-هل هذا جزائي أني أحببتك أيها الحقير؟

تبسم الذي يجلس بجوارها قائلًا:

-يبدو أنك غبية؛ وهل يوجد شيء يُسمى حب؟

ثم أمسك يدها؛ انتفض جسدها وهمت لتغادر فأمسك بها ووضع يدهُ على فمها وقال بحدة:

-إن سمعت صوتك مرة أخرى سأقتلك، أتفهمين؟

لم تكترث لتهديده ونزعت يده محاولة الخروج من الباب، ولكن قد أغلق الباب بإحكام، سمعتهم يضحكون فهرولت إلى المطبخ وأحضرت سكينًا، وقالت بصوت مرتجف:

- إن اقترب أحد مني سأقتل نفسي..

اقترب منها علاء وقال ساخرًا:

-الفتاة التي أتت هنا قبلك كانت تقول هذا الحديث نفسه؛ يبدو أنكما تشبهان بعضكما، هيا لا يوجد وقت.

فأخذها الآخر على غفلة وأمسك يدها؛ ومزق ملابسها، كانوا ينهشون لحمها والدموع تتساقط منها كالمطر؛ لم يرحمها أحد منهما، ولم

يكترث علاء لصرخاتها، حتى فارقت الحياة بين يديها ما جعلهما في دهشة، قال علاء الذي كانت تُحبه:

- يبدو أنها فقدت الوعي!

نظر الآخر إليه وقد علا وجهه الفزع قائلًا:

-لم تفقد الوعي بل ماتت!

-ماذا تقول ؟

-أقول لك أنها ماتت، إنها لا تتنفس

قال علاء معاتبًا:

-ألم أقل لك يكفي هذا؟

-دعك من هذا الآن، لابد أن نخفي جثتها قبل أن نُفضح..

-ولكن كيف؟

-تعال معي سأخبرك، دخل الحمام وأخذ ينزع البلاط وأخبره أن أنسب مكان لدفنها هو هنا.

قاطعه قائلًا:

-لا لن أجعلها تدفن في الشقة!

-وماذا سنفعل؟ هل نخرج بها أمام الناس فيقبض علينا.. هل تعي ما تقول؟

-إن قمتَ بدفنها هنا فكيف سنتخلص من الرائحة؟

-رأيتُ مشهدا في حلقة برنامج مَن الجاني أن الرجل دفن زوجته ووضعها في الحمام، وقام بوضع الخرسانة على جثتها..

-عندي فكرة أخرى، هل سمعت عن حمض الهيدروفلوريك؟

-لا!

-هو حمض قادر على إذابة الجثة، وما سيتبقى منها سنأخذه خارج المنزل..

أُعجب بالفكرة وقال متسائلًا:

-ولكن اخبرني كيف سنأتي بهذا الحمض؟

-عندنا في الجامعة لا تقلق، ولكن اعطني بعض الوقت.

مرت الساعات حتى أتى علاء به وقاموا بملء حوض الاستحمام، وأخذ صديقه يرتدي القفازات وهو يضع الحمض، ما لم يعلمهُ عن الحمض أنه قادر على إذابة القفازات ومن الممكن أن يخترق الجلد والأنسجة بكل سهولة، وهذا ما حدث، دخل الحمض دمه فوقع على الأرض، كان جسده يرتعد، حاول علاء أن ينقذه ولكن لم يُفلح. نظراته وهو يرقد بجوار الفتاة التي اغتصبها غريبة، وكأنه يقول لها سامحيني. فزع علاء مما حدث وتحول المنزل إلى مقبرة؛ بدلًا من جثة أصبحوا اثنتين.

حاول أن يُركز قليلًا وأخذ يُكمل ما كان يفعله صديقه، ولكن بحذر حتى انتهى، أخذ جثة الفتاة وتركها حتى ذابت، فوضع حمض الكبريت في الحوض وأخذ يضع الجثة الثانية، وما تبقى منهما غير أحشاء

بسيطة، فأخذها في حقيبة وألقاها في الماء، شعر بارتياح، فأخذ يُكمل ليلته وكأنه لم يفعل شيئا؛ عاد إلى منزله ثانية، فوجد أخته في انتظاره وقالت بحدة:

-لِمَ كل هذا التأخير؟

-دعيني وشأني الآن.

-ماذا حدث؟

-لم يحدث شيء، أريد أن أخلد إلى النوم.

لم يشعر بتأنيب الضمير، وكأنه نوع غير البشر، نام ليلتها، لم تمر ساعة حتى انتفض جسده وكأنه أصيب بمس كهربي، تنهد ثم قام إلى الحمام، وعندما دخل، وجد الباب مغلقًا، مما يعني أن أحدًا ما بالداخل، ظلَّ واقفًا ظنًا منه أن أخته من بالداخل، مرت أكثر من عشرُين دقيقة، فنادى عليها وطرق الباب أكثر من مرة فلم يسمع شيئا، وما إن مرت لحظات حتى فُتح الباب من تلقاء نفسه ولا يوجد أحد. ملأ الغضب محياه ودخل وهو مستاء، ثم عاد إلى فراشه وتدثر فيه، فصرخات الفتاة لم تفارقه، لم يستطع أن يخلد للنوم ولكن سمع شيئًا ما يتحرك ببطء محاولًا فتح الباب، نظر مترقبًا حتى وجد الباب يفتح ولكن لا أحد. قام وتحرك نحو الباب، فإذا بالفتاة نفسها التي قُتلت، تقف في الطُّرقة ترتدي ملابس بيضاء مغطاة بالدِماء، وشعرها الأسود المنسدل على وجهها، أعطاها منظرًا مرعبًا تشيبُ له الرءوس، ابتسمت ابتسامة ألقتْ الرعب في قلبه، فظل يقول وهو غير مصدق:

-أنا أحلم، أنتِ خيال أعلم ذلك.

ظلَّتْ تقتربُ منهُ وهي تقول:

-لم قتلتني؟

رجع القهقرة قائلًا:

-أنا لم أقتلك هو من قتلك.

لم تتكلم وظلت تقترب حتى كاد علاء أن يقع من النافذة فنظر خلفه فلم يجدها، اقترب ببطء ووضع يده على رأسه وتنهد وهو يقول:

-كان حُلما!

وقبل أن يُكمل كلمته، شعر بها خلفه وكانت تهمِس في أذنه وتقول:

-ملعون.

جمع علاء كل ما أوتي من قوة وكأنه أصيب بهستيريا، ثم التفت إليها وأمسكها من رقبتها وقال منفعلًا:

-نعم أنا من قتلتك، وسأقتلك مرَّة أخرى.

ظلَّ يَضْحك حتى نظر إلى وجهها فتفاجئا أن التي بين يديه ليست آلاء بل أخته، وقع على الأرض بجانبها وهو يبكي:

-آلاء مستحيل، أنتِ لم تموتي اخبريني لماذا لا تتكلمين؟

مرت سويعات قليلة وهو نائم بجوارها وقلبه يحترق، وكأن هذا كان عقابه على ما اقترف، قام وتركها وفرَّ هاربًا ولكن لم تتركه اللعنة! فاختبأ في المزارع وظلَّ يأكل من القمامة؛ كان يرى الفتاة التي قتلها في وجوه

كل من ينظر إليهم، حتى ظن أنه قد جُن، وجد أناس يتحدثون عن دجال يعالج جميع الأمراض الغامضة، ذهب إليه طلبًا للمساعدة، فحكى له ما جرى، طلب الدجال مبلغا كبيرًا مقابل فك اللعنة، لم يكن أمام علاء حل آخر، ذهب إلى صاحب متجر وهدده وأخذ الأموال عُنوة، ثم ذهب إلى الدَّجال، وهناك حصلت الطَّامة، فجأة تغيرت ملامح وجه هذا الدّجال، وما إن مرَّت لحظات حتى وقع مغشيًا عليه، تركهُ علاء وهرب وأخذ المال معه.

وفي صباح اليوم الثاني، علم أن الدجال قد مات محترقًا مما ألقى الرعب في قلبه، حاول أن يتخلص من لعنة الروح حتى يأس فحاول الانتحار بدلًا من أن يقبض عليه، هو لا يريد أن يمكثَ داخل السجن وأن تلازمه اللعنة بين هذه الجدران الأربعة، عزم على الانتحار، صعد فوق إحدى ناطحات السحاب، وقبل أن يُلقي نفسه سمع صوتا يأتي من خلفه يقول:

-لن تهرب من اللعنة.

أدار وجهه فإذا بها الفتاة نفسها ففزع منها وقال:

-سامحيني، أنا أخذت جزائي.

تبسمت وقالت:

-عقابك ستأخذه بعد موتك، أما الآن فلا..

قال مستغربًا:

-وماذا تريدين منى، اتركيني!

أشارت إليه أن يتبعها، فتقدمت قدمه نحوها، كان يخطو خطوة وترجع هي خطوة، حتى وجد رجال الشرطة بجواره وتم القبض عليه.

كانت تلازمه اللعنة في محبسه كل ليلة، حتى حُكم عليه بخمسة عشر سنة مع الشغل والنفاذ، كان يتمنى أن ينطق القاضي بالإعدام فضلًا عن البقاء حيًا مع هذه اللعنة، لم يحتمل عاما واحد فقطع شراينه ومات.. رجعت روح الفتاة مكانها راضية بعد أن أخذت حقها؛ ولكن هل تنتهي اللعنة بموته؟!

ويلز وتوماس

عندما يتعلق الأمر بحياة الإنسان يتنحى العلمُ جانبًا، فمن العُلماء من يهوي بعلمه، ومنهم من يُصبح نجدة للآخر، وأنا الآن أُحدِّثكم عن المخترع "ويلز باركر" من أشد المهوسين بالاختراعات الغريبة، ومعروفٌ عنه في أمريكا أنه صاحب التَّجارب الغامضة.. كان يأخذ الفتيان من الحوارى ليجري عليهم اختبارات نظير الأموال التي سيدفعها لهم.

مرت الأيام حتى خطرت إليه فكرة ستغير العالم أجمع، وستقوم بفضح أولئك الذين يدعون المثالية، الفكرة تتلخص في أنه سيقوم باختراع نظارة، عندما يضعها الإنسان أمام عينيه يرى بها المستقبل عبر لقطات سريعة؛ وبالفعل نجح في ذلك، عندما تحدث عن اختراعه سخر الناس جميعًا منه، ولكنه سعى ليثبت لهم أنه لم يكن يمزح، كان في حاجة إلى متطوعين لتنفيذ التجربة، وحدث هذا بالفعل، ولكنَّ الأشخاص الذين قاموا بتجربة هذه النظارة تغير معهم كل شيء! فمنهم من خرج وهو ينوي على الشر، لأنه رأى صديقه المقرب مع زوجته على فراشٍ واحد من خلال لقطات عبر المستقبل بعد ارتداء النظارة. وتكررت الأحداث وقَتَل شاب أيضا أمه لأنه علم أنها كتبت كل ثروتها لأخيه الأكبر في المستقبل!

وصل الخبر إلى منظمة أمريكية، فأخذت المشروع وعملت عليه، وما إن مرت أسابيع حتى لاحظوا أن الجهاز يتسبب في مشكلات كبيرة، فمن يرى في مستقبله شيئا يضره تراه يُسارع في تغييره بالطريقة الخاطئة.. سُجِّلت حالات الانتحار الأعلى وسط الذين أتوا لتجربة النظارة بنسبة جعلت القلق يلج قلوبهم، الذين أتوا لتجربة الجهاز منهم من رأى أنه في المستقبل تسبب في وفاة ابنته الوحيدة فهمَّ بالانتحار ليتفادى قتلها، وآخر أضرم النيران في منزله ومات محترقًا، والسبب أنه رأى أن المنزل سيكون سبب الخلاف بينه وبين أولاده وسيَتفقون على قتله، فأسرع هو بقتل نفسه وأضرم النيران في منزله. منذ هذا الحين تم إيقاف تنفيذ المشروع وأبلغوا ويلز المخترع أن مشروعه سيُعْدم نهائيًا ولن يخرج إلى النُّور. شعر وقتها أن أحلامه قد تحطمت أمام عينيه، مشروعه الذي لطالما عمل على إنجازه والآن يُرفض بعد ما كان سينتهي منه، كان مهووسًا به مما دفعه إلى التمثيل أمامهم أنه سيترك هذا الاختراع ولن يعود له مجددًا.

خرج وهو ينوي شرًا، ذهب يومها إلى شيكاغو، وتعرف إلى العصابات حتى وصل إلى كبيرهم وعرض عليه الفكرة، رحَّب الرجل بها بعد ما تأكد من حديثه أنه صادق، وجعل أحد أفراد العصابة يستخدم النظارة، فأخبره أنه على ما يرام وأبدى إعجابه ودهشته من هذا الاختراع العجيب.

قام ويلز المجنون بصناعة الآلاف من النظارات، ولكن أحيانا ما يكون الفضول هو الهلاك بعينه، أراد كبيرهم أن يرتدي النظارة، ولكن من وراء ويلز ليتأكد بنفسه، فأخذها وقام بارتدائها، كانت البسمة تعلو محياه، حتى رأى أن أجله سيكون على يد هذا المخترع المجنون، ففكر في قتله. هو لا يعلم أن ويلز يعلم كل شيء وقد أخذ احتياطاته جيدا.

وضع وليز الكاميرات الصغيرة ليتم تسجيل اللقطات، ومن ثم إعادة عرضها مرةً أخرى في حين الرجوع لها، وقبل أن يفكر في قتله كان قد وضع ويلز السم في قدح قهوته الذي قام كبيرهم باحتسائه معه، وما أن مرت لحظات حتى شعر بشيءٍ ما ينزع أحشاءه ويقطعها من الداخل، كان هذا هو السم الذي وضعه ويلز، وظل ينتفض حتى فارق الحياة، فأخذه ويلز وتخلص منه، علم رجاله أن كبيرهم قد مات فخرج عليهم وليز بالأموال واستطاع أن يقنعهم بأن يصبحوا أتباعه، جلس وقتها وهو يقول:

-من سيكون معي سيحصل على كل ما يريد، نبيع الأجهزة وكل واحد منكم سيحصل على نصيبه، ما رأيكم في هذا؟

هللوا جميعًا مرحبين بالفكرة، لم يكونوا يعلمون أنهم قد وقعوا في المصيدة.

ترك وليز لكل واحد منهم نظارة ليقوموا ببيعها، وهنا لعب الفضول لعبته، كل الذين حصلوا على النظارة أخذوا يجربونها، فمنهم من رأى صديقه يحاول قتله بسبب قليل من المال، فهمَّ هو بقتله، ومن هنا بدأت

الحرب بينهم في شوارع أمريكا، وكان هدف ويلز غريبًا بعض الشيء، هو أراد أن يتخلص من العصابات التي تعمل على إثارة الشغب والذعر بهذه الطريقة!

بحثت جهات التحقيق في كل مكان عن السبب الرئيس وراء كل ما يجري، ولكن المحقق توماس كان له رأي آخر، هو يعلم جيدا أن الذي تسبب في نشوب تلك المعارك بين اللصوص هو وليز، والسبب وراء ذلك الشك الكبير الذي تسلل إلى نفس توماس أنه هو ووليز كانوا أصدقاء في الماضي، قبل أن تحدث تلك الحادثة التي غيرت ويلز وتحول بعدها من رجل طيب إلى رجل غريب الأطوار مولع بالأشياء الغريبة والمريبة في الوقت نفسه، على الرغم من أن الحادثة التي تعرض لها كانت وافية وكافية أن تجعله يقدم على الانتحار، الحادثة حدثت منذُ أعوام حين ذهب إلى زوجته مادلين في أورلاندو، وبعد عودتها من سن دييغو مدينة الملاهي الشهيرة، وصل إليها ولكن قد تأخر الوقت، وجدها كانت تجلس هي وصديقتها وعندما نزل من السيارة، وجد مجموعة من اللصوص تكاتلوا عليه وقاموا بربطه في الشجرة في أثناء ما كانوا يغتصبون زوجته أمام عينيه وصديقتها، نزل المشهد عليه كالصاعقة ولم يتركوا زوجته حتى ماتت بين أيديهم، ومن ثم أخذوا السيارة وفروا هاربين، ومنذُ هذا اليوم وويلز عازم على الانتقام من كل العصابات. ظل يبحث عن الذي قتلوا زوجته أكثر من عام، فلم يجدهم ومن هنا فكر في هذا الاختراع الثمين لهم، وبالطبع جميعهم سوف

يبحث عنه لكي يقوموا بسرقته، وعندما يتم تجربة الجهاز ستكون النهاية لهم جميعًا.

المحقق توماس يعلم هذا جيدا، ويعلم أنه يريد الانتقام ليس إلا، ولذا قام بالبحث عنه، فإن وقع هذا الجهاز في يد شخص بريء ليس له ذنب، فسيتحول إلى لعنة على البشرية أجمع. قام توماس بطباعة صورة لويلز وتم لصق الصور على جميع المباني والعقارات للتعرف عليه في أسرع وقت ممكن، خرجت منظمة خفية أيضا تبحث عن المخترع، حاول رجال الشرطة أن توقف الحرب الدائرة بين اللصوص، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك حتى تدخلت القوات الخاصة التابعة للجيش الأمريكي، وتأكدوا وقتها أن ويلز هو من كان وراء كل ما حدث، فكر المحقق توماس في شيء يجذب انتباهه ويجعله يخرج من مخبئه، فطلب من جريدة دايلي نيوز أن تعلن في صفحتها الأولى عن القبض على اللصوص الذين قتلوا زوجة العالم ويلز. ولكن ما كان يشغل تفكير توماس وقتها هذه النظارة، وكيف لها أن تجعلك ترى المستقبل، ولو صح القول لعرف ويلز ما سيفعل توماس، وأن خبر القبض على قتلة زوجته هذا فخ قد وضع له، ولكن الذي جعل توماس يتأكد من شكه محاولة ويلز اقتحام قسم الشرطة من خلال أشخاص قد تم تأجيرهم ليعثروا على اللصوص الذين قبض عليهم. وهنا تأكد توماس أن هذه النظارة ما هي إلا خدعة من ويلز. علم ويلز من أحد اللصوص أن القسم خالٍ ولا يوجد به أحد، فتسلل الشك إلى قلبه وعلم أنه قد كشف أمره.

أحد اللصوص ذهب إلى مخبئه ولم يكن يعلم أن توماس يراقبه، حتى دخل منزلًا يبدو من الوهلة الأولى أنه مهجور، دخل هذا الرجل وتابعه المحقق بخطوات بطيئة حتى سمعه يتحدث مع أحد وهو يقول:

-لم نجد أحدًا هناك؛ يبدو أنه فخ قد أعد لنا..

قال ويلز وهو يبتسم:

-لقد أخبرني صديقك منذ ساعة ما حدث، ولكن لمَ لمْ تختبئ؟ هل أنت غبي؟ فمن الممكن أن يتبعوك إلى هنا ويُعرف مكاني!

جلس الرجل وهو يضحك بسخرية:

-يبدو أنك لا تعلم مع من تتعامل، أنا أشرس لص في هذه المدينة، ولا أحد يستطيع الإمساك بي..

تأفف ويلز قائلًا:

-لا أريد ثرثرة، الآن اذهب وأريد منك أن تتأكد أن جميع الرجال قد خرجوا، لا أريد أن يعلم أحد أنني وراء هذه العملية. أتفهم ما أقول؟

أومأ الرجل برأسه قائلًا:

-نعم، أفهم يا سيدي..

ثم انصرف فتوارى توماس خلف الباب حتى خرج هذا الرجل، ومن ثم أخرج مسدسه ودخل المنزل، فوجد ويلز مستلقيا على الأريكة، شعر ويلز بخطواته فانتفض توماس عليه، وعندما رأى صديقه توماس أمامه مشيرًا إليه بالسلاح، ظل ويلز يضحك فقاطعه توماس قائلًا:

-كنت أعلم أنك وراء كل ما يجري..

قال متبسما:

-وكيف لا أكون أنا، وأنت تعلم جيدا ما أنوي عليه..

قال توماس منفعلا:

-وأنت تعلم جيدا أنك على خطأ، صدقني ما تفعله الآن ليس هو الحل، ألا تعلم أن أغلب اللصوص لا ذنب لهم في مقتل زوجتك، والمجرم هذا ليس له ذنب، فمن الممكن أن يكون قد ضل طريقه واتجه إلى الإجرام كما تفعل أنت الآن..

اعتدل ويلز وقال بجدية:

-هم من قتلوا زوجتي؛ ولن أدع أحدا منهم..

-إن كنت تقتلهم بدافع الانتقام، فهذا ليس عدلا؛ فهم لم يقتلوا زوجتك..

قال ويلز والغضب يملأ عينيه:

-بل هم من قتلوها..

-اسمعني يا صديقي، أنت شخص طيب أعلم ذلك جيدا، ولكن ما تفعله ليس الصواب..

قال ويلز وما زال مبتسما:

-كنت طيبا، والآن أنا شخص غير الذي تعرف؛ ويلز الطيب هذا قد دفنته مع زوجتي، وأنا الآن شخص آخر..

اقترب توماس منه وأردف قائلًا:

-أنت شخص جيد ولم تتغير صدقني، أوقف كل هذا..

قام ويلز مسرعًا ووقف أمام الباب وهو يقول بصوت عال:

-لا.. لن أترك حق زوجتي أتفهم ذلك؟ وإن كنت تظن أنك قمت بالقبض عليَّ فأنا أُخبرك بأنك مخطئ..

وفجأة انطفأت الأنوار، ولاذ ويلز بالفرار، ولم يستطع توماس أن يلحق به.

في هذه الأثناء قامت القوات الخاصة بتجميع النظارات التي وُجدت مع اللصوص وتم تدميرها، وعرضت وسائل الإعلام على جميع القنوات أن هذه النظارة ما هي إلا خدعة. تجمَّع وقتها كثيرٌ من اللصوص وعلموا أنها خدعة من ويلز، فقاموا بالبحث عنه في كل مكان سعيًا للانتقام منه، ظل ويلز يهرب من مكان إلى مكان، حتى جاء اليوم الذي أبلغت فيه إحدى السيدات أنها رأت هذا المخترع المجنون يصعد أعلى المبنى الذي تسكن فيه، فعلم اللصوص من أتباعهم في الشرطة مكانه، وأسرعت قوات الأمن إلى المبنى، ولكن توماس قد سبقهم جميعًا وذهب إليه، لم يكن ويلز يعلم أنه قد كشف أمره، وصعد أعلى المبنى لكي يختبئ، وفي هذه الأثناء صعد توماس إليه مسرعًا حتى وجده، ويبدو على عينيه الإرهاق وأنه لم ينم منذ وقت طويل، كان ويلز مستغرقا في نومه، فوضع توماس الكلبشات الحديدية بين يديه دون أن يشعر، فارتعد جسده وفتح عينيه ليتفاجأ بتوماس

مرة أخرى، حاول ويلز الإفلات، ولكن لم يستطع هذه المرة، فقال والدموع تتساقط من عينيه والعرق قد ملأ جبينه:

-اتركني يا توماس، لابد أن أذهب رجاءً

قال توماس بنبرة بها الحزن والأسى:

-لقد قمت بنصحك أكثر من مرة..

-وهل تريد مني أن أترك حق زوجتي..

-لا، ولكن بالقانون

-القانون الذي تتحدث عنه لم يقبض عليهم حتى الآن..

-أنت لم تقتل مَن قتل زوجتك، بل قتلت أناسًا أبرياء!

قاطعه بصوت عالٍ:

-لا تقل أبرياء! إنهم لصوص..

-اخبرني هل من أضرم النار في منزله والسبب أنت عندما شاهد أولاده يأخذون ماله ويريدون قتله من خلال اختراعك اللعين هذا، هل هو الآخر لص؟ هيا اخبرني! والرجل الذي انتحر وهو يظن أنه سيتسبب في قتل ابنته في المستقبل، أهو لص؟

ثم اقترب منه وهو يهز جسده بقوة قائلًا:

-لماذا لا تجيب علي!

ضحك ويلز وهو يقول:

-هذا مستقبلهم وهم رأوه بأعينهم..

-أنت تكذب، هذا ليس المستقبل، بل هو من صنعك أنت، وأنا أعلم ذلك..

قال ويلز بثقة:

-هذا اختراعي، وأنا أقول لك أن هذا هو المستقبل لكل لص..

قاطعه توماس قائلًا:

-وإن كنت تعلم المستقبل، فلمَ لم يخبرك اختراعك هذا أنني سأقبض عليك؟ ولمَ لمْ يخبرك أن الذين قتلوا زوجتك لم يكونوا في القسم عندما أرسلت رجالك؟ هيا اخبرني!

سكت ويلز وهو ينظر إلى الأسفل.

فقال توماس معاتبا:

-أرأيت ما أقول لك، أنت من وضعت اللقطات هذه من وحي خيالك لا من مستقبلهم، ما كان ذنب الفتاة الصغيرة التي انتحر والدها؟

ثم انفعل وتابع حديثه بصوت عالٍ قائلًا:

-اخبرني ما ذنبها؟

وفي أثناء حديثه سمع ويلز صوت سيارات الشرطة قد تجمعت أسفل المبنى، فتبسم وهو ينظر إلى توماس بثقة قائلًا:

-كنت أريد أن أنتقم منهم، ولكن لا يهم الآن، فقد انتقمت من كثيرٍ منهم، وهذا جعلني أرتاح، وطالما لم أقتلهم فلابد أن أموت فالحياة بعد زوجتي ما هي إلا عقاب في حد ذاته..

نظرات توماس كانت تراقب المكان عن كثف؛ خشية أن يهرب منه، إلا لو قفز من أعلى المبنى وانتحر.. وقبل أن يتكلم توماس وجد ويلز يقفز من فوق المبنى وهو يقول:

-سوف أذهب إلى زوجتي، هي في انتظاري الآن..

وسقط من الطابق العشرين ووقع جثة هامدة على الأرض وفارق الحياة. أرسلت دمعة من توماس إلى خده فأمسكها بيده وهو يقول:

-لِمَ فعلتَ ذلك يا ويلز؟

آن لها أن تستيقظ

الفتاة ملكة المنزل والضحكة التي تجعل المنزل يرقصُ طربًا، ولكن لا يبقى الوضع على حالما تكبر الفتاة، فيزداد حزنها والأحلام التي تلاحقها دون أن تتحقق، فيزداد الهم وتحيا حياة بائسة، ولكن ما جرى مع فريدة لا يصدقه عقل، ولن تصدقني أنت أيضا!

بدأت قصتها عندما كانت في الجامعة، فتاة في مقتبل العمر في كلية الصيدلة جامعة عين شمس، تحلم أن تصبح ناجحة في حياتها وأن تكون من المشاهير، ولكن بعض الذئاب البشرية تأبى ذلك.. فقد أعجب بها شاب من الأغنياء كان يدرس معها في نفس الجامعة، ولكن لم يرد أن يتقدم لها بالطريقة الطبيعية، فأراد أن يجعل الأمر مشوقا بعض الشيء ففكر في خطفها.. لا تتعجب فمرضى العقول يعيشون بيننا.

ولكن قبل ذلك، حاول التودد إليها أكثر من مرة، ولكنها كانت ترفض ذلك، لأنها تعلم علم اليقين أن هذا الشاب لا يريد أن يتزوجها، بل يريد أن يلعب بها لذا رفضته. أتي وليد إليها واعترف بحبه لها أمام جميع الناس ورفضته للمرة الثانية فسخروا منه؛ فاشتعل غضبه وقال بصوت عالٍ:

-كيف تتجرأ هذه الفتاة وترفضني، ألا تعلم من أنا؟ ألا تعلم من هو والدي؟

ظل الشباب يسخرون منه مما زاد الأمر عن حده، فاستأجر بعض الكائنات التي لا تستحق أن يطلق عليها بشر.. علم من صديقتها المقربة علياء أن والد فريدة رجل قعيد ولا يتحرك من مكانه؛ ما دفعه لأن يطمئن، فأخذ منها العنوان حتى جاء هذا اليوم المشئوم، كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أرسل إليها ثلاثة من البلطجية، راقب أحدهم المنزل من الخارج حتى تأكد أن جميع الناس قد ناموا، ثم ولجوا إلى منزلها مستترين في ظلام الليل الحالك، يحمل كل واحد منهم مسدسه، وينزع قلبه قبل أن يدخل إلى المنزل، كان والدها يجلس في غرفته على فراشه، وقد تدثر فيه استعدادًا للنوم، حتى سمع صوت قدم تحاول الدخول إلى المنزل، سمع الباب وهو يفتح فولج في قلبه القلق على ابنته، فنادى ابنته بصوت عال وهو يقول:

-يا فريدة، هل هذا أنتِ؟!

سيطر الصمت لحظات علم وقتها أن أحدا ما دخل إلى المنزل يحاول سرقته، وما إن مرت لحظات، حتى سمع صوت فريدة وهي تصرخ وتقول:

-اتركوني أرجوكم.. انجدني يا أبي!

اتسعت عينا والدها وانتفض جسده كالذي أصابه مس كهربي، ثم أخذ يحاول النزول من أعلى الفراش ليجلس على كرسيه المتحرك، وأخذ يقترب من خزانة الملابس حتى أحضر سلاحه، وفتح الباب بقوة يديه ومن ثم أطلق النار عليهم، ولكن لم يصب منهم غير الذي كان يحمل ابنته على

كتفه، فارتطمت على الأرض، ولكن سرعان ما انقضوا على والد فريدة وقاموا بطعنه بالسكين، صدمت فريدة من هول الموقف، والدها الشخص الوحيد الذي بقي معها، ولم يتبقَّ من أسرتها غيره، يموت أمام عينيها بهذه الطريقة البشعة، ففقدت وعيها ولاذ المجرمون بالهروب، وتركوا صاحبهم الذي قُتل، ليظن رجال الشرطة أن هذا الشخص هو الذي اقتحم المنزل بمفرده وقد مات وتقفل القضية، ولكن الفتاة هي الشاهد الوحيد، مرت سويعات قليلة حتى أتت سيارات الإسعاف ومعهم رجال الشرطة، كان يرأسهم الرائد عمرو السالم، أخذت سيارة الإسعاف الجثث ونقلت فريدة إلى المستشفى فاقدة الوعي.

اتصل أحد المجرمين على وليد أكثر من مرة، ولكنه لم يجب عليه، هو علم من علياء ما جرى، هو يعلم أن علياء تحبه، ولذا لن تشي به مهما حدث، مر يومين حتى عثر الرائد عمرو السالم على جثة مواطن يدعى فتحي السيد أحمد مشنوقا في الشقة، وتبين بعد ذلك أنه مدان في قتل والد فريدة، ولسوء الحظ لم يترك القاتل دليلا وراءه، كان الرائد عمرو في بداية الأمر يرى أن هذه القضية يسهل حلها، ولكن الآن قد تغير كل شيء.

في صباح اليوم الثاني، أبلغ أحد المواطنين عن وجود شخص مشنوق أعلى كوبري المقطم، تبيَّن أيضا أنه من كان في الشقة وقت وقوع الحادث من بصمات يديه، يعني هذا أن أحدا ما يحاول قتلهم ليخفي أثر الجريمة عنه، ولكن من التحريات بدا واضحا أن الذين قاموا بالدخول

كانوا ثلاثة أشخاص، مات أحدهم في المنزل إثر إطلاق النيران من قبل والد فريدة، ومات على إثرها والاثنين ماتا مشنوقين، وهذا يعني أن القضية قد انتهت من وجهة نظره، ولكن ما كان يدور في رأس الرائد عمرو هو من الفاعل الذي تسبب في كل هذا من بداية الأمر؟ حتى جلس الرائد عمرو مع صديقه النقيب سمير، قال الرائد عمرو بفضول:

-كيف انتهيت من القضية التي كانت معك يا صديقي؟

تبسم النقيب سمير وهو يقول:

-أنت تعلم يا صديقي، لا شيء يصعب عليَّ

-أعلم، ولكن أنا في مشكلة كبيرة الآن..

-وما هي؟

-قضية فتاة الجامعة

-نعم، علمت بهذا الأمر، الفتاة التي في غيبوبة حتى الآن أليست هي؟

-نعم

-وما المشكلة يا صديقي.. سمعت أن الذين قتلوا والدها قد شنقوا أنفسهم..

-لا، لم يفعلوا، نحن من قلنا هذا، ولكن الحقيقة أكبر من ذلك، هم لم يشنقوا أنفسهم، بل شُنِقوا، وأنا على يقين من ذلك..

-تقصد أن أحدا ما له يد في ذلك..

-التحريات قالت إنهم كانوا ثلاثة أشخاص..

قاطعه سمير قائلًا:

-والذين ماتوا أيضا ثلاثة، فمَ المعضلة؟

-هناك أحد تسبب في بداية الأمر في كل هذا، وهو من استأجر هؤلاء، وأنا أعي ما أقول..

-لو فرضنا جدلا أن كلامك صحيح، فليس لديك دليل على ذلك..

-ولكني أشعر به!

-منذ متى ونحن نتعامل في عملنا بالشعور، صدقني لا فائدة من النبش وراء الموضوع، فمن الممكن أن تدخل نفسك في مشكلات لا حصرَ لها..

تعجب عمر من قول سمير بإعادة كلمته وهو يقول:

-مشكلات لا حصرَ لها؟ ومنذ متى وأنت تقول هذا الكلام؟ أين سمير الذي أعرف؟

تبسم ابتسامة بلهاء وهو يقول:

-مات يا صديقي، أنا ذاهب..

في هذه الأثناء، جلس وليد الذي تسبب في كل هذا وهو يفكر:

– كنت سأفكر في قتل هؤلاء الأغبياء، ولكن من فعلها قبلي، ولمَ الدليل الوحيد الآن هي الملعونة فريدة، سأنتقم منها هذه الساقطة، وسأجعلها تقابل والدها في أسرع وقت ممكن، ولكن هذه المرة بيدي..

وتوارى في ظلام الليل وذهب إلى المستشفى وأخذ زيَّ طبيب ليتنكر به، ودخل بالفعل فوجد الحراسة مشددة على غرفتها، ولاحظ أنهم ينظرون إلى بطاقة الهوية الشخصية ليتأكدوا من أن الذي يدخل إلى الغرفة هو معالج هذه الحالة. رجع إلى منزله وأخذ يفكر في خطه أخرى قبل أن تفيق من هذه الغيبوبة، هو يعلم جيدا أنها ستخبرهم أنه السبب وراء ذلك، ولكن ما لا يعلمه أن الذي قتلهم لن يتركه ينعم بالحياة، خصوصا لو أنه ليس من البشر!

الأشياء التي لا إدراك لها أو ما وراء الطبيعة كما نقول، عندما تتدخل في عالمنا تكون كارثة..

وليد لا يعلم أن الذي ينتقم منهم ليس بشرا، من ثار لأجلها كان من الجن، أراد المساعدة ولكن مساعدة الجن دائمًا ما تكون بمقابل وشرط لابد من فعله! كان الشرط هنا أن تسلم فريدة جسدها له، وأن تجعله يخلد فيه إلى الأبد.

ظل وليد يرى كوابيس وأشياء مرعبة، هو لا يعلم ما الذي يجري! ولكن ما كان يدور في رأسه وقتها أنه لابد وأن يقتل فريدة قبل أن تفيق من غيبوبتها فأرسل شخصا آخر، ولكنه فشل، قرر وقتها أن يذهب بنفسه، كان ظلام الليل قد جن على المكان، وقبل أن يغادر المنزل سمع صوت بكاء شديد يأتي من الأعلى، وفجأة أحس أنه لا يستطيع الحراك، وكأن قدمها قد تسمرت في مكانها، لا يستطيع التحرك بمحض أرادته، شهق كالذي يصارع

الموت، شعر أن شيئًا ما استهّم على جسده فكتفه.. وما إن استطاع أن يلتقط أنفاسه حتى صرخ مستغيثًا:

-أنقذوني أرجوكم!

على الرغم من أن المنزل لم يكن خاليًا لم يسمعه أحد، وما إن مرت دقائق حتى أحس أن جسده قد أُطلق سراحه من جديد، اعتدل في جلسته وظل يبكي بكاءً مريرًا، حتى احمرت عيناه من الدمع، فوضع يده على رأسه وهو يقول بصوت أرهقه التعب:

-أين أنت يا أبي؟!

سمع وقتها صوت البكاء يتكرر مرة أخرى، ولكن هذه المرة تحول سريعًا إلى ضحكات مريبة، ثم اختفت فجأة، ثم عادت من جديد، فتلفَّت يمينا ويسارا فلم يجد شيئًا، قام مسرعًا فوقع نظره على هذا الشيء الملقى أسفل قدميه، انحنى ليلتقطه فإذا به قرص معدني مثل الذي نستخدمه لتسجيل العُرس، ما جعل القلق يلج قلبه.. كيف دخل هذا القرص إلى المنزل؟ ومن الذي وضعه هنا؟ والغريب أيضا أنه لا يوجد في المنزل جهاز يقوم بتشغيل هذه النوعية من الأقراص، همَّ وأخذ يرتدي ثيابه ليخرج من المنزل، لكن الفضول قد قتله، يريد أن يعرف ماذا يوجد بداخله؛ فاشترى جهاز تشغيل خاص بهذا القرص، ومن ثم رجع إلى منزله، وقام بوضع القرص فيه، وياليتة ما يفعل! ظهر على الشاشة رجل ملثم يقول بصوت جهوري أجش:

-هل تظن أنك ستفلت بفعلتك..

ثم تعالت الضحكات منه وتابع حديثه:

-لا تظن ذلك.. أراك تتساءل من أكون! سأخبرك، لا تقلق، أنا لعنة عليك إلى الأبد، ألم تسأل نفسك من تسبب في قتل أصدقائك؟

ثم انطفأ الجهاز

قام وليد لينظر ما الخلل الذي جرى له، فصعق عندما لم يجد القرص داخله.. كيف اختفى؟! جلس وهو يفكر:

-كيف يكون هذا الشخص الغريب لعنة؟ هل هو من الجن؟ لا أعلم شيئا، واختفاء القرص لا يطمئن.. لابد أن أقتل هذه الفتاة، أنا أشعر أن الأمر سيتحسن إن قتلتها..

مرت دقائق حتى اهتز هاتفه معلنا عن اتصال من علياء وهي تقول بصوت عالٍ يملؤه القلق:

-انقذني يا وليد، فريدة تأتي لي كل ليلة تريد الانتقام مني!

-كيف هذا، هي لم تغادر المستشفى حتى الآن!

-أرجوك أنا أحتاج إليك؛ لا تتركني..

-اهدئي، أنا آتٍ لك الآن..

خرج من منزله وتوجه إليها، وعلم منها ما جرى، كان في دهشة كيف لها تفعل كل هذا وهي على فراشها لا تتحرك، ولكن خطر في ذهنه أن

يستخدم حب علياء له ويأمرها هي أن تتخلص منها، ليتزوجها وبالفعل وافقت.

في صباح اليوم الثاني، ذهبت إليها وهي تنوي قتلها، دخلت غرفتها وهي ترتدي زي ممرضة، ظلت تقترب منها حتى كادت أن تخرج حقنة الهواء، فتفاجأت برجال الشرطة قاموا بفتح الباب، فأسرع أحدهم وانقض عليها وأخذوها إلى القسم.

أتى الرائد عمرو وقام بالتحقيق معها، كانت الفتاة منهارة، ظن عمرو وقتها أن هذه الفتاة هي الطرف الرابع والخفي، ولكن بعد أن هدأت ظهر جليًّا من حديثها أنها لم تكن الفاعل ولا المخطط لهذه الجريمة، فقال لها:

-ما الذي دفعك لقتلها؟

ظلت تبكي ولم تجب، حاول الرائد عمرو أن يهدأ من روعها وهو يقول:

-أهدئي واخبريني لمَ تردين قتلها؟ ما جاء في التحريات أنكم أصدقاء.. هيا اخبريني لمَ؟

قالت والغضب يملأ عينيها:

-هي أخذت كل شيء، حتى الشخص الذي أحببته أخذت قلبه، كانت لابدَّ أن تموت..

-ومن هو حبيبك هذا؟

سكتت، مما جعل عمرو يتأكد من ظنه، وبعد ساعات قد مرت قالت اسمه خطأً، أخطر الرائد عمرو السالم قوات الأمن بإحضار وليد الذي فر هاربًا، وظلت اللعنة تطارده في كل مكان، حتى بعد أن سافر إلى أمريكا لم ترحمه الكوابيس، كان يراها في كل وجه يلقاه حتى كاد أن يجن، وفي شر ليلة بعد منتصف الليل وجد نفسه يقوم من نومه دون إرادته، وذهب إلى الصالة وهو يردد:

-هذا حقها.. هذا حقها..

ثم خرج من الصالة متوجها إلى الشرفة وهو يردد الكلمات نفسها، نزلت منه دمعة ساخنة على خده، واتسعت عيناه وهو يقترب من الشرفة أكثر فأكثر، فوجد شيئًا عجيبا أمامه ليس ببشر، كانت عيناه مرعبة، لم يقل غير كلمات ولجت في أذن وليد فقذفت الخوف في قلبه كان يقول:

-آن لفريدة أن تستيقظ..

فقفز وليد من الطابع العاشر، وقد تملكه الخوف والهلع وهو يقول:

-اتركني..

ولم يستطع إعادتها حتى ارتطم بالأرض.

علم بعدها الرائد عمرو بما جرى لوليد؛ فأغلق القضية. وفي هذه الأثناء أفاقت فريدة من الغيبوبة وهي تبكي، فسمعت صوتًا يهمس في أذنيها وهو يقول:-هيا وَفِّ العهد

ظهرت على وجهها ابتسامة شريرة ودهاء يوحي أن الآتي ليس بخير..

الشيطان يتصدق

الخير هو الطريق الوحيد الذي إذا سلكتهُ لن تندم أبدا، ولكن إن كان سالكُ هذا الطريق شيطانا فماذا سيكون العمل؟

سجلت بعض القنوات الإعلامية حلقة عن الإقبال الشديد على القطار الذي يحمل رقم (٨٥٤٣ س ح م درجة أولى مكيفة) أو كما ندعوه نحن قطار الغلابة، شيء ما مريب في الأمر كان يحدث في هذا القطار، وكان السبب في هذا الإقبال الشديد على ركوبه، من الوهلة الأولى ظننتَ أني سأتحدث عن الجن، لا، بل أحدثك عن فاعل الخير الغامض هذا، بعضهم قال أنهم بينما يفكرون في مشكلاتهم يأتي رجل طويل القامة ذو عيون خضراء، يتحدث بلهجة لا توحي أنه مصري، شخص ما غامض بعض الشيء، يجلس بجوارك ويتحدث معك، ثم يتركك لتتفاجأ أن حقيبتك التي لم يلجها جنيها واحدًا، بها الآن مليون جنيه، دون أن يقترب هذا الشخص منها! حدث الأمر مع كثير من الناس، وهذا ما جعل الناس يتهافتون على ركوبه، ولكن هذا الشخص لا يوجد له أثر في القطار، جميعهم يبحثون عن مواصفاته، ليعلموا بعد ذلك أنه ظهر لأكثر من شخص بشكل مختلف، هذا يعني أنه لن تُكشف هويته، فضلا عن أنه يختفي فجأة وكأنه لم يكن موجودا من الأصل!

هذا ما جعل جريدة متخصصة في البحث عن الأشياء الغامضة تبحث عن حقيقة الأمر، هل لو هذا الشخص فاعل خير كما ادعى بعض الناس، فكيف يتم إدخال المبلغ داخل الحقيبة دون الاقتراب منها كما روى معظمهم؟

هذا الأمر الغامض أصبح له شهرة إعلامية كبيرة، ومن ثم ظهرت صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي باسم "فاعل الخير الغامض"، وخرج بعض الناس مدعيا أنه هو هذا الشخص..

الشخص هذا ظلَّ يظهر وبكثرة، وفي الآونة الأخيرة تطور إلى أن وصل إلى أن مصانع الملابس قامت بتصنيع زيٍّ مشابه للوصف الذي تم وصفه من خلال الذين رأوه، هذا ما جعل آدم، صحفي يبحث عن الأحداث الغامضة تابع لجريدة "الغموض"، كان هذا اسمها، تخصص هذه الجريدة في كشف الخدع السحرية، وكشف النصب والدجل والتحقق من الأشياء التي ما وراء الطبيعة. آدم يعمل فيها منذ فترة قريبة وهو الآن تحت التدريب، ولكن اجتهاده جعله يُكلف بالتحقيق والبحث في هذا الأمر، كان شغوفا جدا، يوميًّا كان يركب هذا القطار بالساعات ظنًّا منه أنه سيلتقي بهذا الغامض، ولكن لم يحدث شيء!

سمع الناس وهم يشكون ويتحدثون عن همومهم لبعض بعضا، على أمل أن يظهر هذا المنقذ من جديد، وهذا ما جعله في دهشة، بدلاً من أن يدعوا ربهم الذي قال: "ادعوني أستجب لكم"، ذهبوا إلى شخص غامض

لا يعرفون حقيقته حتى الآن، ولكن لم يظهر، خطر إلى ذهنه فكرة، ماذا لو أتى برجل أغبر ملابسه ممزقة وشعره أشعث، أسيظهر هذا الغامض ويتحدث معه أم لا؟

في صباح اليوم الثاني، اتصل آدم بصديقه وليد الذي يعمل معه في الجريدة نفسها، وأخبره أنه يريد رجلا كبيرا بهذه المواصفات، وما أن مرت ساعات حتى أتى به، كان رجلا ضعيف الجسد لا يستطيع أن يعول بيته، ولا أن يتحرك بسهولة، أتى معه على أمل أن يعطيه قليلًا من المال كي يرجع إلى أولاده ويطعمهم.

مرت الساعات وهم يجلسون في القطار، ولم يأتِ هذا الغامض، شعر آدم أنه فشل هذه المرة أيضا، حتى وجد رجلا غريبا يرتدي معطفا لونه أسود، لم تظهر ملامح وجهه بسبب ازدحام الناس، جلس بجوار الرجل الكبير وهو يقول له كلمات لم يسمعها آدم، والسبب صوته المنخفض وكأنه يهمهم في أذنيه، ثم قام من جواره وذهب، قام آدم مسرعا يحاول اللحاق به، ولكن قد اختفى، وقف آدم في ذهول وهو يضرب كفا بكف قائلًا:

-كيف هذا! أين يكون قد ذهب؟

بحث عنه طلية اليوم، ولكن لم تتطابق مواصفاته مع أحد في هذا القطار، ولا أحد يرتدي معطفه الأسود نفسه. هذا ما جنَّ جُنون آدم، رجع إلى الرجل الكبير الذي أتى به، فوجده مستغرقا في نومه، أيقظه وقام بالبحث في حقيبته فلم يجد شيئا!

قال مستغربًا:

-لا يوجد شيء في الحقيبة؟ ولكن كيف؟ هم قالوا إنه يترك لهم الأموال!

ثم دنى آدم من الرجل وهو يقول:

-اخبرني ماذا قال لك؟

ابتلع الرجل غصته وهو يقول:

-يفضل ألا أخبرك..

انفعل آدم قائلًا بحدة:

-ماذا؟ هيا اخبرني!

نظر الرجل إلى آدم وأردف قائلًا:

-قال لي إنك ستموت الليلة..

-ماذا تقول؟ من الذي سيموت؟

-هو أخبرني بذلك، وهو يعلم أنك تريد كشف هويته..

-ولكن كيف له أن يعرف أنني أبحث عنه؟

شعر آدم أن هذا الرجل يخفي شيئًا ما!

اعتدل الرجل وهو يقول:

-هو يعلم جيدا أننا نمثل عليه، ولكن أتعلم ما الغريب في الأمر؟

قاطعه آدم قائلًا:

-أنت تتحدث معي بألغاز هيا اخبرني

-هو قال لي أنه يعلم كل شيء عن أولادي، وعندما أذهب إلى منزلي سأجد المال هناك..

اتسعت عينا آدم وقال بدهشة:

-أنا متأكد أنه ليس من البشر، ولكن لا أعلم لمَ يفعل كل هذا؟ ومن أين يأتي بهذه الأموال؟

-لا أعلم يا ولدي..

-ولماذا سيقتلني؟ أليس هو من يفعل الخير؟ فلمَ يقتل إنسانا بريئًا؟ أنا لم أفعل له شيئًا!

ربت الرجل على كتفه قائلا:

-يا ولدي الأعمار بيد الله وحده، من قال لك إنه سيقتلك؟

-ألم تخبرني منذ قليل إنه قال سيقتلني؟!

-لا، هو قال ستموت الليلة.. دعك منه يا بني يبدو أنه شيطان..

تعجب آدم وهو يقول:

-وهل شياطين اليوم تتصدق.. كيف يكون شيطانًا ويفعل الخير؟

أرجع الرجل ظهره إلى الوراء وأردف قائلًا:

-هو يفعل الخير ليجعل الناس تؤمن به..

-انتظر قليلًا، هل تعلم أننا في عام ٢٠٢٠؟ ألا ترى الموضوع غير منطقيٍّ بعض الشيء؟!

-وهل ترى ما نحن بصدده منطقي؟ رجل يظهر فجأة ثم يختفي..

وضع آدم بطاقة بها رقمه داخل جيب الرجل وهو يقول:

-إن ظهر لك مرة أخرى فاخبرني!

ثم تركه وأخذ يتحرك بخطوات بطيئة، وعينيه لم تكل ولم تمل عن البحث في أوجه الناس، ولكن بلا فائدة. الخوف كان يتملكه، انتهى اليوم وعاد إلى منزله، وكأنه يترقب حدوث شيء ما.. مرَّت ساعة حتى دخل وبدَّل ملابسه، وتدثر في فراشه حتى سمع صوت بكاء يأتي من الخارج، نزع آدم الغطاء ونزل ببطء محاولا الاقتراب وهو يفتح الباب بخفة، رأى طفلًا صغيرا يجلس بجوار التلفاز، القنوات كانت مشفرة فلم يظهر وجه الطفل، ظل يقترب حتى وجد شيئًا غريبًا جدا جعله يتسمر في مكانه، وجد نفسه وهو صغير، رجع آدم إلى الوراء ممسكًا رأسه وهو يقول:

-لابد أنني أحلم.

رأى الطفل يستدير وهو يبتسم ابتسامة صفراء غامضة، توحي أن الآتي ليس بخير! اقترب الطفل أكثر فأكثر، حتى صُدم آدم مما رأى، فقد رأى أمه التي توفيت منذ أكثر من ١٠ أعوام وهي تخرج أمامه من الغرفة.. شعر آدم وكأنه خيال بينهما، نظرت أمه إلى الطفل وقالت بهدوء وحنية زائدة:

-ألم أخبرك ألا تعبث في التلفاز يا صغيري؟

ثم ضمته إلى حضنها وهي تقول:

-لا تبكِ، اهدأ لن أعاقبك..

ظن آدم أنه فقد الحياة وأن ما يراه الآن هو بعد مماته. ولكن فكر قليلًا:

-كيف أكون قد مت، وأنا الآن أرى نفسي صغيرا؟ لم أعد أفهم شيئًا..

لاحظ آدم أنه عندما يقترب من المرآة لا يرى انعكاس الشكل أمامه، أي لا يرى نفسه! وفجأة وبدون إنذار وجد الطفل يخرج من الغرفة ويخطو نحوه وكأنه يراه، فنظر الطفل إليه قائلًا:

-لماذا تقف هكذا؟

شعر آدم بالفرحة وهو يقول:

-هل تراني؟

وجد عين الطفل تنظر إلى الشكل الذي وراءه، كانت لعبة "باظ يطير"، فكان يتحدث معها؛ شعر آدم بالخوف ووقع على الأرض. استيقظ آدم فوجد نفسه على الفراش، ظل يضحك بصوت مرتفع وهو يقول:

-أنا كنت أحلم.. كنت أعلم ذلك من بداية الأمر..

لم يكمل كلمة حتى سمع هاتفه يهتز معلنا عن اتصال من صديقه وليد الذي أتى له بالرجل الكبير، فقال وليد بحدة:

-أين أنت يا آدم؟

-أنا في المنزل، هل حدث شيء؟

فقال منفعلا:

-حدث شيء؟ ألم أخبرك أنك ستذهب إلى القطار اليوم؟

-ولكن أنا ذهبت بالفعل؟

قال مستغربا:

-ماذا تقول؟ نحن تحدثنا بالأمس والرجل ينتظرك بجواري الآن!

انتفض آدم كالذي لدغه ثعبان:

-أنت تمزح معي أليس كذلك؟

-يبدو أنك جننت؟

أغلق آدم الهاتف وأخذ يبحث عن النتيجة، فوجد أن اليوم هو السبت، فقال وقد ملأ الذهول محياه:

-البارحة كان السبت، أنا واثق من ذلك، أنا قابلت الشيخ الكبير وأنا متأكد أنني لم أكن أحلم وقتها..

بدل ملابسه وأخذ السيارة قاصدا الجريدة، فوجد وليد يقف أمام مدخل العقار وبجواره شيخ كبير، ولكن ليس الرجل الذي أتى معه بالأمس.. اقترب آدم منهما وهو ينظر إلى الرجل بغضب..

قال وليد متسائلا:

-ماذا بك يا آدم؟ هل أنت على ما يرام؟

أومأ آدم برأسه قائلًا:

-نعم، ولكن اخبرني ألم نتقابل بالأمس؟

-لا

التفت إلى الشيخ الكبير وقال بصوت مرتفع:

-وأنت من تكون هذه المرة؟ أنت الشيطان، نعم أعرفك، تريد أن تجعلني أجن.

ثم انقض آدم عليه وأمسكهُ بشدة من عنقه حتى كاد أن ينزع رقبته، وكادت روحه أن تصعد إلى خالقها لولا تدخل وليد، حاول وليد تهدئته قائلا:

-اهدأ يا صديقي، ما ذنب الرجل هو لم يفعل لك شيئا!

علا صوت آدم وهو يقول:

-يا صديقي لا أعلم ما الذي يجرى معي، بالأمس كنت في القطار ومعي الشيخ الكبير.

فقاطعه وليد قائلًا:

-يبدو أنك تمزح، بالأمس لم تذهب إلى القطار، بل جلست طيلة الوقت على مكتبك ألا تذكر؟

-لا، صدقني أنا ذهبت، ولكن يبدو أن هذا الشخص ملعون أو من الجن..

تعالت الضحكات الساخرة منه:

-هل تذكر ما اسم الجريدة التي تعمل بها؟

-نعم، ولمَ تسألني هذا السؤال؟

-نحن نبحث في الأشياء التي لا تفسير لها حتى الآن، وبالتأكيد لو كان هذا الشخص من البشر ما كلفناك بالبحث من الأصل..

قام آدم وأمسك يد وليد:

-ستذهب معي لأثبت لك أنني لم أكن أحلم..

ذهبوا إلى القطار. جلس آدم في المقطورة نفسها وهو ينتظر ظهوره، ولكن ما لفت انتباهه شيء غريب، وهو أن الشيخ الذي كان معه بالأمس يجلس في مقدمة المقطورة، قام آدم مسرعًا وجلس بجواره وهو يقول:

-هل وجدت المليون جنيه في المنزل بالأمس؟

كانت نظرات الرجل توحي أنه لا يعرفه، في هذه الأثناء كان وليد يراقب المشهد عن كثب حتى سمعه يقول:

-هل أعرفك؟

انفعل آدم وهو يقول:

-أنا أعلم أنك أنت الجني، هيا اظهر نفسك إن كنت قويًا حقا..

تعجب جميع الركاب حتى قام رجل كبير آخر شعره أشعث وقال:

-ماذا بك يا فتى؟ هل يصح أن تتحدث مع رجل كبير بهذا الشكل؟!

تذكر آدم أنه وضع بطاقة في جيبه يوجد بها أسمه، لمح البطاقة فنزعها من جيب الرجل وقال بحدة:

-إن كنت لا تعرفني فمن أين أتيت بهذه البطاقة؟

قام الرجل وتحرك بخطوات سريعة بين الناس، حاول آدم مسرعا الحاق به، ولكن الرجل قد اختفى..

رجع إلى صديقه وهو يقول له:

-أرأيت ما حدث؟ كان الرجل الكبير هذا هو الشخص الغامض الذي نبحث عنه!

قال وليد مستغربًا:

-ولكنه شخص كبير في السن، على عكس ما حكى بعض الاشخاص الذين رأوه!

-أعلم ذلك، ولكن بعضا منهم أيضا قد حكى لي أنهم رأوه أكثر من شخص.. يبدو أنه يمتلك القدرة على التجسد في أي شكل أراده..

حك آدم رأسه ثم تابع قائلًا:

-خطرت لي فكرة..

قال وليد متسائلا:

-كيف سنعرف حقيقته؟

-لابد أن أذهب إلى الحالات التي أعطاهم الأموال..

-لك ما طلبت، معي رقم حالة منهم، رجل فقير في قرية نائية يدعى فتحي، وهو من حكى لي أنه ظهر له على شكل شاب وسيم ذي عيون خضراء، يبدو أن هذا الشكل أكثر ما يتجسد به أمام الناس، ولكن هذه الفترة انقطعت اتصالاته ولم يفتح الهاتف حتى الآن..

قال آدم بحماس زائد:

-هيا اعطني عنوانه!

أخذ آدم العنوان وذهب مسرعًا إلى منزله، المنزل كان في حالة جيدة جدا؛ مما قذف في قلب آدم الشك، فقال في ذهنه:

-إن كان هذا الرجل فقيرا، فماذا أسمي نفسي؟ معدوما!

اقترب من الباب ثم طرقه عدة طرقات، لم يفتح أحد حتى خرج رجل من المنزل المجاور وقال له:

-ماذا تريد؟

نظر إليه آدم وقال متسائلا:

-أين صاحب هذا المنزل؟

لم يجب الرجل، والغريب أنه دخل منزله وأغلق الباب؛ تعجب آدم، ولكن الفضول لم يدعه حتى قام وطرق باب هذا الرجل، فوجده ينظر إليه من النافذة وهو يقول بحدة:

-صاحب هذا المنزل اختفى منذ أيام، هيا فلتذهب!

-ولماذا أنت خائف هكذا؟

-ليس من شأنك، هيا غادر!

أصر آدم ألا يترك المكان حتى يعلم ما الذي يحدث هنا فقال:

-أنا لست شرطيا، أنا فقط أريد أن أقابل صاحب المنزل..

أغلق الرجل النافذة بقوة، ومن ثم سمعه يقول بتلعثم وكأنه يحدث أحدا: -لم أخبره بشيء صدقني!

فقام آدم بكسر الباب وصعد إليه مسرعًا، ولكن لم يجد غير الرجل، نظر إليه بغضب وهو يقول:

-ماذا فعلت؟ هل قمت بتحطيم باب المنزل أيها اللعين؟!

رجع آدم إلى الوراء قليلا:

-أنا ظننت أن أحدا ما يحاول قتلك!

-هو سيقتلني إن أخبرتك..

اتسعت عيناه وهو يقول:

-ماذا قلت لتوِّك؟

قال الرجل والقلق ظهر جليًّا على وجهه:

-أنا لم أقل شيئا

-لا، أنا سمعتك، هيا اخبرني من الذي سيقتلك أن أخبرتني؟

لاحظ عين الرجل وهي تنظر إلى أركان الغرفة ثم أجلس آدم بجواره:

-يا ولدي أنت صغير، استمتع بشبابك ولا تبحث عنه..

-من هو وكيف تعرفه؟

-أنا لا أعرف، ولكن ما حدث يجعلك تفرُّ هاربًا منه..

-لن يهدأ لي بال حتى أعلم من هو ولمَ يفعل كل هذا؟

اعتدل الرجل في جلسته ووضع يده على رأسه وهو يقول:

-أنا لا أخشى الموت الآن، فأنا شيخ كبير، ولكن أخاف عليك يا ولدي..

قال آدم بثقة:

-لا تخف بالله عليك، اخبرني ماذا تعرف عنه؟

-منذ أيام، كان صديقي الذي كنت تبحث عنه الآن، رجلا فقيرا يعمل بوابا في إحدى العقارات القريبة من هنا، فجأة اغتنى وقرر أن يشتري هذا المنزل، كنت متعجبا منه كيف لرجل لا يملك قوت يومه أن يشتري منزلا بهذا الثمن، تعرفت إليه ولكن الذي جعلني أشك فيه.. كان كثيرا ما يتردد على منزله شاب يبدو في العشرينات، وعندما كان يأتي إليه كان يدخل المنزل من هنا يغلق صديقي أنوار المنزل بالكامل، كنت أراقبه ولكن الغريب أنني لا أراه يخرج، بل يدخل فقط.

قاطعة آدم قائلا:

-ولكن من الممكن أن يكون المنزل له باب من الخلف!

-لا، المنزل لا يوجد به غير باب واحد..

-وكيف علمت؟

-لأنني كنت سأشتري هذا المنزل في بداية الأمر..

-اخبرني كم مضى على اختفاءه؟

-بضعة أيام

أخذه الفضول أن يسأله مع من كان يتحدث:

-أنا سمعتك تتحدث مع أحد، هل هو ولدك؟

جلس الرجل وهو يتأفف قائلًا:

-لا، بل الجني الذي تبحث عنه..

قال آدم مندهشا:

_ماذا؟ هل هو معنا الآن؟

-اسمع يا ولدي، هو أخبرني أني إن أخبرتك سيقتلني، ولكن أنا لم أعد أحب الحياة، نصيحة مني اذهب من هنا، ولا تبحث عنه مجددًا.

-لا، أنا لن أتركك، هيا تعالَ معي..

-وهو الآخر لن يتركني، اذهب أنت!

-دعك منه..

نظر الرجل إلى الأسفل وخيبة الأمل تعلو محياه قائلًا:

-لم يعد يجدي نفعا، أنا أخذت الصدقة منه..

اعتدل آدم وأمسك بيدي الرجل قائلًا:

-اخبرني عن أية صدقة تتحدث؟

أرسى الرجل دمعه على خده وهو يقول:

-زوجتي قد أخذت كل ما أملك وتركتني فقيرا، حتى أتى هذا الغامض وكلمني وعرض عليَّ هذا العرض المغري.

قال آدم والفضول يأكل رأسه:- وما العرض؟

-كان العرض أن أنفذ طلباته نظير هذه الأموال التي سأحصل عليها..

-وماذا كان يأمرك؟

-كان يأمرني بأشياء غريبة، أولها قتل زوجتي..

اتسعت عينا آدم والقلق قد نزل على وجهه:

-وهل فعلت ما أمرك به؟!

ضرب الرجل رأسه قائلًا بندم:

-نعم، قتلتها وهي في المرأب منذ شهور حتى تعفنت جثتها!

رجع آدم القهقرة وهو يقول:

-ماذا؟ هل تمزح؟

قام الرجل وأشار إلى باب المرأب وهو يقول:

-اتبعني

أخذ يفتح الباب، كان يبدو أنه لم يفتح منذُ وقت بعيد، نزل الدرج، المكان حالك إذا أخرج يده لم يكد يراها، حتى وجد ما يشغل به النور وهو يقول:

-أعلم أنك خائف، ولكن لا تقلق، أنا لن أفعل لك شيئا، أريد فقط أن أجعلك تشاهد بعينيك شيئًا ما..

المكان مليء بالحشرات، فضلًا عن الدود الذي يملأ المكان، يوجد في آخر الغرفة صندوق كبير، فتحه وأخرج منه ورقة مكتوب عليها بالدماء، أمسك بها آدم بفضول وهو يتفحص الورقة الكلام والحروف باللغة العربية، مكتوب عليها:

أنت من طلبت العون مني والصدقة، ولكن أنا لست ربك لكي أعطيك دون مقابل، إن كنت توافق على الشروط فلتضع نقطة من دمك عليها، وقل: أنت عوني وكررها ثلاث مرات، لاحظ آدم أن الرجل قد وقَّع على العقد، وفعل كما أمره، فنظر إليه قائلًا:

-هل كررت الكلمة؟

أومأ الرجل برأسه وهو يقول:

-ليتني لم أفعل..

أعاد آدم نظره إلى الورقة فوجد مكتوب فيها:

لابد أن تنفذ ما أطلب منك، هم ثلاثة أيام فقط ثم تحظى بالمال، ولن أظهر لك مرةً أخرى، هم ثلاثة طلبات:

الشرط الأول: أن تنتقم من زوجتك التي نهبت أموالك لتشعر بالانتصار.

الشرط الثاني: لا تخرج من منزلك لمدة ثلاثة أيام.

الشرط الثالث والأخير: لا تخبر أحدًا بما حدث معك.

وفي حالة عدم تنفيذ الشروط، ستندم ولن تحصل على شيء!

وقعت الورقة من يد آدم وهو ينظر إلى الرجل في ذهول:

-أنت أخبرتني أنه سيتخلص منك!

تبسم الرجل وهو يقول بثقة:

-لا تخف عليَّ، العمر واحد والرب واحد، وإن قتلني فأنا أستحق فأنا قتلت زوجتي بيدي هاتين ودفنتها هنا..

قال آدم بتلعثم:

-هنا! اين؟

-تحت قدميك..

ترك آدم الرجل وأخذ يصعد مسرعا يريد الخروج، الغريب في الأمر أن باب المنزل كان مفتوحا على مصرعيه، خرج آدم واستقل سيارة وذهب إلى الجريدة ليروي لهم ما حدث. عندما وصل وجد المدير يشيط غيظا وهو يقول:

-أين كنت كل هذا الوقت؟ ولمَ لمْ تجب على الهاتف؟

أخرج آدم هاتفه فوجد المدير قد اتصل أكثر من عشر مرات فقال متأسفا:

-أعتذر سيدي المدير؛ لم أسمع صوت الهاتف، حتى إنه لم يهتز.

وهذا ما جعله مستغربًا. قال المدير بصوت عالٍ:

-وأين كنت كل هذا الوقت وأنت تعلم أننا في حاجة ماسة إلى معرفة الشخص الذي أرسلتك لتعرف هويته قبل وسائل الإعلام..

تبسم آدم وهو يقول:

-لا تقلق، لن يعرف أحد حقيقته بسهولة..

قال المدير متسائلا:

-ولمَ؟ هل الأمر معقد لهذه الدرجة؟

جلس آدم وهو يقول بهدوء:

-هذا لأنه ليس شخصا غامضا وحسب، بل هو شيطان..

-وكيف عرفت أنه شيطان، ومنذ متى تظهر الشياطين وسط الناس وفي وسائل المواصلات..

-اسمح لي سيدي أن أخبرك ما وصلت إليه..

جلس المدير وهو يقول:

-هيا اخبرني

-الناس قالوا إنه يظهر فجأة ليعطي الفقراء المال، ومن ثم يختفي أليس كذلك؟

-نعم

-أنا بحثت عنه في كل مكان ولم أعثر عليه، ولكن تفاجأت في نهاية الأمر أنه كان معي في كل لحظة، وهو يعلم جيدا أنني أبحث عنه..

قال المدير والفضول قد هيمن عليه:

-لا، تمهَّل قليلا واخبرني كيف علمت أنه هو من كان معك؟

-أخذت الرجل وذهبت به على أمل أن يظهر هذا الغامض، وبالفعل ظهر وأخبر الرجل الذي أتيت به أنني سأموت الليلة، ومن ثم اختفى..

قال المدير ممازحا:

-ولِمَ لم تمت؟

-الأعمار بيد الله فقط..

-أنا أمزح معك، ولكن أمامك يومين، إما أن تعرف حقيقة هذا الشخص، أو تعتبر نفسك في أجازة مفتوحة من الآن، هل فهمت ما أقصد؟

قام آدم وكله غيظ منه وغادر المجلة. عاد إلى منزله والخيبة قد تجلت على وجهه، دخل ووضع حقيبته بجوار الأريكة، ثم ذهب إلى النوم وقبل أن يخلد إلى النوم، سمع صوت ضحكات عالية، قام ببطء ومن ثم فتح الباب بقوة، فلم يجد شيئًا، استدار فوجد الرجل الكبير الذي كان يجالسه في القطار خلفه مباشرةً، استدار لينظر إليه فوجده يربت على كتفه وهو يقول:

-هل صدقت حديث الرجل عن المنزل؟

انتفض آدم ورجع إلى الوراء قليلا وهو يقول:

-ماذا تريد مني؟

-أريد أن أساعدك

علا صوت آدم وهو يقول منفعلا:

-أنا أعلم حقيقتك أيها الشيطان اللعين

جلس وهو يقول بهدوء:

-وما حقيقتي؟ هيا اخبرني

-من جعلك إلها لكي تساعدهم وتعطيهم المال ثم تطلب منهم أن ينفذوا أوامرك؟

تعالت الضحكات الشريرة المتقطعة منه وهو يقول:

-يبدو أنك تشاهد أفلام الرعب كثيرا، من أخبرك بهذا؟ هل هو الرجل الكبير؟

-نعم، هو من أخبرني..

قام الرجل ووقف على قدميه وهو يقول:

-هل هذا من أخبرك؟

فجأة تغير شكله وتحول ليصبح الرجل الذي كان عنده بالمنزل. اتسعت عينا آدم قائلًا:

-أنت هو أيضا؟

-أنا أستطيع أن أتشكل في أي شكل أريد

-ولماذا تفعل كل هذا؟

-أساعد الفقراء، ألم ترَ شيطانًا يتصدق

-لا لم أرَ

-أنا سوف أعطيك المال وستصبح غنيا جدا، ولن تحتاج إلى العمل في هذه المجلة مجددًا وتبتعد عن هذا المدير المجنون..

-وما المقابل هنا؟

تبسم الشيطان وهو يقول:

-الآن أنت تفهمني؛ أنا لست آلة لأعطيك دون مقابل أليس كذلك؟

-هيا اخبرني ماذا تريد؟

أخرج الشيطان ورقة بيضاء وقال:

-أريد منك أن تشهد لي أني صالح وتمضي هنا بنقطة واحدة من الدماء..

-وما الذي سيجري بعد ذلك؟

-لن يحدث شيئا، بل ستأخذ المال وتشتري سيارة جديدة وكل ما تريد..

جلس آدم وقال بحدة:

-وماذا إن رفضت العرض هذا؟

-هذا العرض ليس للرفض..

-تعني أنني سأمضي عليه رغمًا عني؟

-لك الاختيار حتى الآن..

أمسك آدم الورقة وقام بتمزيقها وهو يقول:

-وأنا أرفض العرض..

ظهر الغضب على وجهه وفجأة تغير إلى مسخ وقال:

-ستندم

ثم اختفى

وما إن مرت دقائق حتى سمع سيارة الشرطة، وهي تحاوط المنزل من جميع الاتجاهات، ودخل أحد الضابط ووضع الكلبشات في يد آدم وهو يقول بحدة:

-أنت مقبوض عليك..

باغته آدم فجأة، فانقلب على ظهره وتم اصطحابه إلى القسم. وهناك تم اتهامه بقتل الرجل الذي قابله، وقام الضابط بإخراج الصورة وهو يقول لمَ قتلت هذا الرجل اخبرني؟

قال آدم مستغربًا مما يجري حوله:

أنا لم أقتل أحد!

-كيف هذا وكاميرات المراقبة قد سجلت لحظة دخولك إلى منزله، لماذا كنت عنده وأنت لا تعرفه؟

نظر آدم إلى الأسفل ثم تبسم وهو يقول:

-وإن أخبرتك لن تصدقني..

-هيا اخبرني

حكى آدم له كل ما حدث، ظل الضابط يضحك ثم توقف قليلًا محاولا الإمساك عن الضحك وهو يقول:

-اخبرني ما النوع الجديد الذي تتعاطاه؟

تبسم آدم وهو يقول:

-كنت أعلم أنك لن تصدقني..

أخرج الضابط الهاتف وقام بتشغيل تسجيل على هاتفه وهو يقول:

-هل هذا أنت؟

ظهر في الفيديو آدم وهو يعتدي على الرجل بالسكين، ومن ثم قطع بها رقبته. صرخ آدم وهو يقول:

-هو الشيطان، صدقني يستطيع أن يتشبه بالأشخاص..

أخرج الضابط ورقة بيضاء وقال:

-أريدك أن تمضي على أقوالك هذه

نظر آدم مستغربًا إلى الورقة:

-أين أقوالي التي سأمضي عليها.

وانتظر قليلا، هذه الورقة تشبه الورقة التي أعطاني إياها الشيطان، وقبل أن يكمل كلمته استيقظ من نومه:

-لا، مستحيل، كل هذا وأنا أحلم!

عسكري الوطن

عمرو شابٌ وسيمٌ أحبَّ فتاة، ولكن دائمًا ما تجري الرياح بما لا تَشْتَهي السُّفُن، لم يكن يحظى بالمال، غير أنه طُلب للتجنيد؛ لذا لم يتقدم لخطبتها، مرَّت الأيام وذهب إلى الهايكستب ليُقدم أوراقه ويُصبح فردًا من القوات المسلحة، علم وقتها أنَّه سيُحوَّل إلى التَّجنيد الفوري، هذا لأنه أتى متأخرًا عن موْعد التجنيد المحدد، ولذا ستكون معه سنة فوق المدة التي تقدر بخمسة وأربعين يوما بعد انتهاء الخدمة، لم يَكْترث لدخُوله المُبكر هذا، كلَّ ما كَان يُشْغل عقله هو أن يبتعد عن حياته، قرار الجيش في هذا الوقت أتى بترحيب، طلبوا منهُ في اليوم الثاني القدوم مبكرًا لتقديم باقي الأوراق وإجراء الكشف الظاهري على المجندين، كانت تُراوِدُهُ هَوَاجس عن الكشف، كان جميع العساكر يُخْبرونه قائلين:

-إنهم يطلبون منك نزع كل ملابسك وأن تُكْمل باقي الكشف عاريًا.

الأقوال كانت كثيرة، حتى أتى الصَّباح وخرج مبكرًا، وعند وصوله انتظر موعد حافلات الجيش المصري، دخل الكشف للمرة الأولى ووجد الطبيب يأمرهم بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات، ذهبت كل مجموعة في ناحية، الكشف كان ظاهريا. بدأ بالرمد، ثم الجلدية، وهكذا إلى أن انتهى الكشف الطبي.

وأنت تنتقل من طبيب إلى آخر، يكتب لك في الأوراق إما لائق أو غير ذلك، سمع عمرو الطبيبَ يقول لائق وكتبها في ورقم وأتبعها بالختم، ما جعله يعلم وقتها أنه قُبل في الكشف، وأتت المرحلة الثانية وهي تقسيم السلاح الذي جعله في ذهول فقد كان سلاحه... مُكافحة إرهاب شَمال سيْنَاء؛ شعر أن الحياة قد ضاقت منه، أحضر حقيبة وأخذ يُلملم ملابسه، دخل مركز التدريب وتعلَّم كيف يُمْسك السِّلاح وكيف يَعْتمد على نفسه، الفطار والغداء والعشاء كانوا في مواعيد محددة، كل شيء أصبح بالنظام، أستلم الأفارول والبيادة، وتعلم كيف ينجز نفسه في دقيقة يكون قد أرتدى ملابسه، تعرف هناك إلى السيء والصالح، تعلم اللهجات المختلفة من جميع المحافظات، فمثلا من كان يبدأ حديثه بكلمة (مش) ويقول: (مش تعمل كذا) فتعلم وقتها أنه من الشرقية، ومن قال (أُبَّا يا جدع) تعلم أنه من السويس، ومن قال (مش نندلى) تعلم أنه من أسيوط . تعرف عمرو إلى العميد فؤاد الكبش، كان رجلًا خلوقًا ويحب العساكر ويعاملهم كأنهم أبناءه، في أثناء التدريب طُلب من عمرو الاستلقاء على الأرض كنوع من العقاب على عدم تلبية الطلب؛ فرفض ذلك وقال بغضب:

-العسكري لا يستلقي أرضا بل يجعل رأسه عاليًا..

تعجب الضابط منه وأعاد كلمته مرة أخرى ولكن بحدة:

-نفِّذ الأمر أيها العسكري! ألم تسمع ما أقول؟!

-سمعتُ، وأنا لن أنفِّذَ الأمر..

-أنت ستحول إلى المكتب..

أومأ برأسه وقال:

-فليكن ذلك..

عندما سمع العميد بما جرى تبسم، وطلب مقابلة الجندي الذي قال هذا الحديث. دخل عليه المكتب، أمرهُ العميد أن يجلس وأردف قائلًا:

-لِمَ لم تلبِ الأمر؟

قال عمرو رافعا رأسه:

- نحن قادة المستقبل أليس هذا حديثك أيها القائد؟ فلمَ أضع رأسي في التراب؟

كان الرد مقنعًا له وغريبًا وفريدًا نوعًا ما. فلم يتفوه به جنديٌّ من قبل، اقترب العميد منه وربت على كتفه وقال مبتسمًا:

-أنت على الصواب يا فتى..

ثم أمر أن يجمع العساكر بالخدمات وقال بصوت عالٍ:

-من الآن فصاعدا، لا أحد يستلقي أرضا، كلكم ترفعون رءوسكم، أنتم عساكر القوات المسلحة أتفهمون ذلك أم لا؟ وإن طُلب منكم ذلك مرة أخرى فلتخبروه أن هذه أوامر قائد الوحدة..

سعدوا جميعا من هذا الحديث، وحصل عمرو على الحب من كل العساكر. بعد ستة أشهر، تم ترقية عمرو من العميد من جندي مقاتل إلى عريف مقاتل، شعر أن حياته بدأت تبتسم حتى أتى اليوم المشئوم، كان قبل

صلاة الفجر حين سمعوا صوت انفجار، وفجأة ظهر بجوار البوابة رجل يرتدي زي مجند، ويلبس حزاما ناسفا وإذا به ينفجر في البوابة، أطاح بالجنديين الذين كانا يقفان على الخدمة ليلًا، وإذا برجل أيضا هرول إلى منوب العمليات وفجر نفسه هناك، واتضح أنهم مجموعة تفجر نفسها في الأماكن المهمة داخل الوحدة، ومجموعة أخرى تدخل وراءهم لكي تطلق النيران على باقي المجندين، الضرب كان عشوائيًا مما أسْفر عن إصابة عدد كبير من المجنَّدين، منهم من أخذ الطلقة في رأسه فوقع أمام عمرو، لم يستطع فعل شيء له غير محاولة الحصول على سلاحه لينتقم من هؤلاء الملاعين، وبالفعل حصل عليه وأخذ يطلق النيران عليهم حتى أسقط خمسة منهم، لاحظ عمرو العميد وقد أخرج سلاحه وأطلق عليهم أيضا، وأسقط منهم اثنين ولكنه أصيب بطلقة في صدره، انتفض عمرو وأخذ يسرع لينقذه، وقامت العساكر بتغطيته حتى وصل إليه، وأخذه إلى الداخل، كان العميد يلتقط آخر أنفاسه.. قائلًا:

-اتركني واقتلهم، لا تدع إخوتك يموتون هباءً، خُذ حقهم يا بطل، إما أن تموت وأنت تدافع عن وطنك وإمَّا فلا.

ومات العميد بين يديه، نزلت دمعة ساخنة قد حملت من الحزن والغضب كثيرًا، فقام مسرعًا وأخذ سلاحه، ودخل المعركة دون خوف ولا قلق، كان يرى مناظر الدماء تسيل على الأرض وتجري مجرى الدم، لم يدخل الرعب ولا الخوف قلوب العساكر، وقاموا بقتل الإرهابيين جميعًا.

جهاز منوب العمليات قد تم تفجيره، لذ لم يستطع عمرو إرسال استغاثة، وهذا يعني أنهم كانوا يخططون من وقت طويل، أخذ عمرو يمشي في الصحراء متجها إلى أقرب وحدة ليخبرهم بما حدث، ولكنه ضلَّ الطريق، ظل مسافة ثلاث ساعات ولم يصل إلى شيء، شعر بالعطش والجوع الشديد، مما جعل حركته بطيئة جدًا فأحسَّ أنه سيهلك، وأن الموت قد اقترب منه، لم يشعر بقدميه التي تنزف بشدة. جلس على الرمال، الحر كان شديدًا مما جعله يفْقِد الوعي، وعندما أفاق وجد نفسه في مستشفى السويس العسكري، وعلم منهم أن أحدا من العساكر قد وصل إلى الكتيبة وأخبرهم بما جرى، وأخبرهم أيضا عن عمرو الذي ضلَّ طريقه لذا عُثر عليه.

عندما سمعت والدته خبر اقتحام الكتيبة وقعت على الأرض ونقلت إلى المستشفى، جلس عمرو في غرفة العمليات أكثر من سبع ساعات، أخبر الطبيب أصحابه أن قدمه تعاني من غرغرينا؛ والحل الوحيد هو بتر القدم اليسرى وتمت العملية..

في صباح اليوم الثاني أفاق عمرو ولكن لم يشعر بقدمه، وعندما علم بخبر البتر لم يهتز ولكنه قال:

-كل هذا قليلٌ على الوطن، وأنا فداء الوطن

مرت الساعات حتى علم أن أمه قد توفيت، فكان هذا هو الخبر الصاعق الذي نزل على قلبه فحطمه، حاول التماسك وهو يقول:

-أريد أن أراها للمرة الأخيرة أرجوكم

طلب العقيد من عربة الإسعاف أن تأخذه إلى المسجد ليصلي على والدته، ولكن الطبيب رفض معللًا ذلك أن حالة عمرو لم تستقر حتى الآن، ولكن عناده وإصراره قد انتصرا؛ وأخذته سيارة الإسعاف ليصلي عليها، أخذ كرسيًّا وقام بالصلاة عليها كما كانت تتمنى، ولكن لم تنتهِ الصلاة، بل انتهت حياته؛ فوقع على الأرض وفارق الحياة، ومات البطل الذي ترعرع في حب الوطن..

علمت حبيبته السابقة بما حدث معه؛ حزنت حزنًا شديدا وظل عندها ذكرى لا تنسى، وأسمت ابنها عمرو لكي تتذكره دائمًا، ومن يومها سُمِّيت كتيبته "عسكري الوطن" ومُنِع منها الاستلقاء أرضا فالعسكري يبَقي رَأْسَهُ عاليا أمد الدَّهر.

فتاة للبيع

يا أمِّي، أنا لَنْ أجلس معهُ في المنزل ولو لثانية واحدة، لم أعُد أُطيقُ الوضع، أرجُوكِ اخبري أبي أن يأتي ليأْخُذني؛ أنا خَائِفة.. كانت هذه ياسمين، الفتاةُ البريئَة التي تزوجت قبلَ أن تُكمل التاسعة عشر، ذهبت ضحية والدها وعشقه للمال الذي دفعه هذا المعتوه ليحصل عليها، قالت أمه بغلظة:

- هو زوجك ولابد عليك أن تتحمليه.

-أرجوكِ، لم أعُدْ أتحمَّل أكثر من ذلك.

فأغلقت أمها الهاتف في وجهها، نظرت ياسمين إلى الهاتف فهربت من عينيها دمعة كادت من لهيبها أن تحْرق خدَّها. جلست ياسمين في غرفتها، فشعرت أن الجدران قد ضاقت عليها حتى كادت أن تخنقها، فذهبت لتتوضأ استعدادًا لصلاة العشاء فسمعت الباب يُفتح، كان شريف زوجها الذي يعاملها بقسوة، ودائمًا ما يشعرها أنها سلعة قد اشتراها ولابد أن تنفذ أوامره. من عادتها عندما يدخل زوجها تذهب وتُعِدَّ له العشاء، فكرت في أكثر من مرة أن تقتلُه وتضع له السُّم في الطّعام، وفي كلّ مرةٍ كانت تتراجع عن التنفيذ، ظلت تفكر وهي خائفة وتحاول أن تتقوى على خوفها هذا وهي تقول:

-لن أترك للخوف متسعا في قلبي، سأجعله يخافني، الخوف ليس العدو الوحيد في هذه الحياة، بل أشد الأعداء هي نفسي، نفسي أنا، وأنا أعلم كيف أروضها.

حاولت كثيرًا أن تتقوى على نفسها وتترك المنزل هربًا منه، وما كان يشغل تفكيرها هي نظرة المجتمع المريض لها، سيقولون إنها هربت إلى عشيقها أو أتت بالعار لأهلها، تعلم جيدا أن والدها لن يتركها تذهب، مع العلم أنها كانت تخبرهم بما يفعل زوجها، والعلامات التي في جسدها خير دليل على ذلك، والدها يرى أن هذا الأمر طبيعيًا، وكأنَّ من حق الزوج على زوجته أن يضربها ويعتدي عليها غير كلمة أمها التي دائمًا ما تتفوه بها: يا بنتي، أبوكِ كان يفعل أكثر من ذلك، وما كان مني إلا أن أصبر.

مر عام على زواجهما ولم يتغير الوضع، فوقفت في وجهه وهي تقول بحدة:

-أنا لن أكمل حياتي بهذا الشكل، لمَ تتعامل معي بهذه الطريقة اخبرني؟!

لم يكترث لحديثها وذهب إلى غرفته، ولما تكرر الأمر اختلف الوضع، أمسك رقبتها حتى كادت روحها تصعد إلى السماء وتختنق، لولا أنه تركها في اللحظات الأخيرة، عزمت يومها أن تترك المنزل وذهبت بالفعل إلى والدها وحكت له ما جرى، ما لا تعلمه ياسمين أن زوجها هذا مريضٌ نفسي، ولسوء حظها لم يخبرها أحد بذلك حتى أهله قد أخفوا هذه الحقيقية خوفًا على اسم العائلة، ولكن علم والدها عن طريق الخطأ ولم

يخبرها بذلك لأنه علم متأخرًا، ولم تلاحظ ياسمين في أثناء الخطوبة لأنه كان طبيعيًا، ولكن عندما وصل الأمر إلى أن يقوم بخنقها، فهذا غير مقبول، فذهب والدها إليه وتحدث معه وعلم أنه لم يشعر بذلك ولا يتذكر ما حدث وقتها، تركه وذهب إلى والده وأخبره بما جرى، فتأسف له وأخبره أن يرجع ابنته مرة أخرى ولن يؤذيها، حاول كثيرًا والد ياسمين إقناعها بالعودة، ولكن كانت تأبى، مرَّ عام على هذا الوضع حتى أتى شريف زوجها وطلقها أمامهم جميعا، فرحت ياسمين لأنها قد تخلصت منه، ولكن سرعان ما سمعت النساء يتحدثن عنها بشكلٍ قبيح.. منهن من تنعتها بالفتاة الخائنة ولذا قام زوجها بتطليقها، ومنهن من قالت إنها لن تتزوج أبدا وحصلت على لقب (مطلقة)، ظلت هذه الكلمات تطاردها من جميع الجهات:

-أنتِ مطلقة لن تتزوجي، من يتزوج مطلقة؟

علمت بعدها أن شريف قد سافر إلى الخارج وتزوج هناك بامرأة ألمانية وحصل أيضًا على الجنسية، ظل أصدقائها يعنفونها على أنها تركته:

-أرأيتِ كيف أصبح غنيًا؟!

لم تكترث لهم وتحملت ما قالوه، مرَّ عام آخر، جاءت سيدة كبيرة في السن كانت تعرفها ياسمين منذُ زمنٍ بعيد، دخلت وهي تقول:

-أريد منك طلبا يا ابنتي..

-تفضلي

-أنا جئتُ إلى هنا لسبب واحد.

-وما هو؟

-شريف من أرسلني إليك يطلب أن تسامحيه على ما اقترف..

سمعت اسمه فشعرت وكأن ألف إبرة قد رُشقت في جسدها، تذكرت التعذيب الذي كان يمارسه والظلم الذي وقع عليها، قامت وهي تقول بحدة:

-لا أريد أن أسمع اسم هذا الحيوان مجددًا..

-لقد هداه الله يا بنتي فلمَ كل ذلك؟!

-اعذريني، لا أريد التحدث عن هذا الأمر..

ذهبت السيدة وأخبرته بما جرى فاشتعل غضبه:

-كيف تتجرأ وترفضني؟

فعزم على أن يعلِّمها درسًا لن تنساه أبدًا.. فبعد يومين ذهب إلى والدها وجلس يتحدث معه، كان يحمل حقيبة بها خمسون ألف جنيه، ووضعهم أمامه وهو يقول:

-هذا تعويض على ما حدث لها، وأنا قد تغيرت

لمعت عينا والدها وهو ينظر إلى الحقيبة، ووافق على إقناعها، تحدث معها فرفضت، فقام وقتها وقال بغضب شديد:

-أنتِ ستذهبين إلى منزل زوجك

-هو ليس بزوجي..

-سيتزوجك من جديد، وأنا واثق أنه تغير، فلن يضر الأمر شيئا إن رجعت إليه، ألا تسمعين فتيات المنطقة يقولون عليك إنك مطلقة، هل تحبين هذا اللقب؟

بعد محاولات كثيرة باءت بالفشل، أخذها والدها عنوة إلى شريف وأحضر المأذون وأقام الزواج، فرح والدها بالأموال ولم يكن يعلم ما يُخبئ لها شريف، وفي ليلتها، بدَّل شريف ملابسه ودخل الحمام، جلس فيه وقتا طويلا حتى ظنت ياسمين أنه لن يخرج أو أصابه مكروه، وبعد ساعة مرت وهي تجلس على فراشها، رأته واقفًا أمامها تعلو محياه ابتسامة مريبة، ثم جلس بجوارها وهو يقول:

-أنتِ لا تحبينني أليس كذلك؟

ظلت ناظرة إلى الأرض ولم تتفوه بكلمة. فصفعها بقوة وهو يقول:

-عندما أتحدث معك انظري إليَّ أسمعتي؟

ظلت تبكي خوفا، فأمسكها من شعرها بقوة:

-أباك قد تركك لأجل الأموال، وأنا قد اشتريت ولكن سلعة فاسدة، لي الحق في أن أفعل بكِ ما أشاء..

ثم قام وأخرج سكينا كان يخفيها في يده الأخرى:

-الآن، سأعلمك درسا..

ولاحظته يقترب منها، فصرخت قائلة:

-ماذا تريد أن تفعل؟! أنا لم أفعل شيئا أرجوك اتركني!

ظل يضحك ضحكات هستيرية وهو يقول:

-الدرس لم يبدأ بعد..

وهرول خلفها، فحاولت الهروب منه حتى كادت أن تلقي نفسها من الشرفة، لولا أن أمسك بها ووضع السكين على رقبتها وهو يقول:

-أرجوك لا تتركيني..

قالت بتلعثم:

-لا.. لا لن أتركك..

-أنت تكذبين علي!

-لا أكذب، سأكون معك للأبد صدقني..

فأنزل السكين، ونزع يده من عليها، فوجدها تسرع نحو باب، فهرول وراءها، فلم تشعر ياسمين بنفسها إلا والسكين في ظهرها وهو يضحك:

-ألم أقل لك أنني سأعلمك درسا..

وقعت ياسمين على الأرض والدماء تسيل من جسدها، فلم يرحمها ورفعها على كتفه ووضعها على الفراش، ثم أخذ يطعنها في رقبتها، حتى جاء إلى خاطره أن يفصل رقبتها عن جسدها، وبالفعل حدث، من ثَمَّ أخذ يُشَرِّح جسدها بالسكين حتى تحولت إلى أشلاء، ثم تركها على الفراش وذهب إلى الشرفة، وجلس وهو يحتسي كوبًا من الشاي وأشعل سيجارته، ظل جالسًا قُرابة العشر ساعات ولم يتحرك من مكانه، صاحب المنزل المقابل

لاحظ جلوسه بهذا الشكل المريب لمدة طويلة فتعجب من الأمر، حاول أن يخرج من الشرفة المقابلة ويسلم عليه، لولا أن لاحظ الدماء التي على قميصه، فنزل وحاول هو وأصحاب المحل أن يقتحموا المنزل، وأخذوا يحاولون الدخول لكن الباب كان مغلقا بإحكام من الأسفل، ظلوا ينادون عليه وهو جالس لا يتكلم غير أنه يدخن سجائره، فقام أحدهم بتحطيم القفل وصعدوا جميعا مسرعين وقاموا بتحطيم باب الشقة، فخرج من الشرفة ومعه السكين يلوح بها حتى أصاب أحدهم، فتجمعوا عليه وقاموا بربطه، لاحظوا جميعا الدماء فدخلوا إلى غرفة النوم، فصعقوا من هول الموقف، قام شاب منهم بضربه بقوة حتى كاد أن يقتله، فتجمعوا وأنزلوه من الشقة أهلكوه ضربا حتى كاد يفارق الحياة، ولولا تدخل الشرطة لأصبح أشلاء مثل ما فعل بزوجته، وصل الخبر إلى والدها الذي كان يجلس على المقهى، قام مسرعا غير مصدق ما سمع، ولكن عندما دخل غرفتها ووجدها مقطوعة الرأس ورأى الطعنات التي في بطنها، ظل يقول بصوت عالٍ:

-أنا السبب يا ابنتي، أنا السبب، أنت لم ترغبي في ذلك، وأنا من صمم لأجل المال، أنا من قتلتك..

وظل يقول: أتوسل إليكِ اخبريني أنك بخير.. سامحيني

ثم وقع مغشيًا عليه ونقل إلى المستشفى.. وأمها لم تحتمل الخبر فتوفاها الله قبل أن ترى قرة عينها وهي غارقة في دمائها.

تم تشريح الجثة، ولم يستطع أحد أن يحاكم شريف لأنه يحمل الجنسية الألمانية، تم ترحيله إلى ألمانيا ليحاكم هناك، ودفنت الجثة وفي الوقت نفسه تم تغسيل جثمان أمها في آن واحد، وعندما أفاق والدها وعلم أن زوجته أيضًا قد ماتت؛ شلَّت قدماه وأصيب بجلطة فمات على إثرها.. لتصعد كل هذه الأرواح إلى خالقها فيحكم بينهم بالعدل وهم لا يظلمون.

حلم تحقق

فتاةٌ تلهو وتلعب، ثم أخذت تخطو بساقيها نحو البئر فسقطت، ولم يسمعها أحد، حتى أتى شخص غريب وأنقذها.. ما قلته لكم منذ لحظات لم يكن غير حلم يراودني كل ليلة عندما أخلد إلى النوم، أعرفكم نفسي؛ أنا ملك، وُلدت بمرض مزمن يدعى (أنيميا البحر الابيض المتوسط)، أو كما يقولون (الثلاسيميا"Thalassemia")، وهذا المرض يأتي بسبب زواج الأقارب، على الرغم من أن أمي وأبي ليسوا من عائلة واحدة ولكن أصبت به. أنا أعلم أن هذا المرض ما هو إلا ميزة ميزني الله بها، وأنا مؤمنة بذلك وفي أتم الرضا عن كل ما يحدث لي، أدرس في الصف الثالث الإعدادي في مدرسة (المحافظ على القرآن) التي لا تحمل من اسمها شيئًا، تعرفت فيها إلى أصدقاء كُثر، ولكن كعادتي لم يسمح قلبي لأحد منهم أن يدخل إليه أو أن أتعلق بأحد، تعلمون أنا من نوعية الناس التي ترى أن كثرة الأصدقاء وتجمعهم حولك لا تعني أنك محبوب، فمن الممكن أن يكون ثمة شيء ما لديك يفتقدونه في غيرك، لم أحب غير صديقتي ميرنا التي كانت تشبهني كثيرًا في كل شيء، كنا نتشارك حتى المرض، هي كانت تعاني أيضا من المرض نفسه، لذا أظن أني أحببتها أكثر من أي شخص، تشعر بما أشعر به، نفهم بعضنا جيدا، وعندما اضطرتنا الظروف أن نذهب من مدينة بنها

ونستقر في الخانكة افتقدتها كثيرًا، كنا لا نتقابل إلا في مواعيد أخذ الدم التي كانت تحددها المستشفى، أصبحت أرى العالم قبيحا للغاية، كل من يعلم أنني مريضة بهذا المرض أراه يتعامل معي بعطف، شعرت وقتها أنني أريد أن أصرخ وأقول للعالم أجمع:

-لا أريد عطفكم هذا!!!

لا أخفي عليكم سرًا، ففتاةٌ صغيرة مثلي في هذا الوضع لابدَّ وأن تشعر أن جميع الناس يبغضونها، لا أعلم من أين أتيت بهذا الشعور، فجميعهم يتعاملون معي بلطف، أو ربما التفرقة التي تحدث بين الآباء والأبناء شيء عادي، ولكن معي لم يكن الأمر كذلك.. لم أكن أشعر بحب والدي في بداية الأمر، اهتمامه الزائد بأخي هو ما جعل عقلي يفكر بهذه الطريقة، حتى أتى هذا اليوم المشئوم، كنا قد اشترينا شقة جديدة في محافظة الإسكندرية، وفي أثناء ما كنا نلعب أنا وأخي ضللت الطريق، فلم أجد أخي ولم أتذكر أين المنزل، فالمنازل هنا متشابهة لدرجة تجعلك تخطئ منزلك إن كنت جديدًا مثلي، جلست في مكاني أبكي فوجدت رجلا يبدو أنه يعمل على الشاطئ، كان يحمل ملابس في يديه لبيعها، جلس بجواري وهو يحاول أن يهدأ من روعي كان يقول لي:

-لِمَ تبكين يا صغيرتي؟ اخبريني ما الذي حدث..

كنت قلقة منه بعض الشيء، فوجدته يخرج من جيبه حلوى وهو يقول:

-خذي هذه واخبريني لماذا تجلسين هنا في هذا الوقت؟

أخبرته بما حدث، فطلب مني وصف المنزل أو المكان الذي بجواره، حاولت على قدر استطاعتي وصفه فقام وقال:

-هيا سنذهب إلى منزلك..

وأخذنا نخطو في طريقنا نحو المنازل التي تشبه المتاهة، وقبل أن يذهب الليل وجدت المنزل، كان أبي يجلس وقتها أمامه وهو حزين جدا كالذي توفى ولده، شعرت بشعور غريب؛ حزن امتزج معه فرح، فرحت عندما علمت أن أبي يحبني وقلق علي، كنت مخطئة في ظني من البداية، الآن علمت مدى حبه لي، هرول نحوي واحتضنني وهو يقول:

-الحمد لله أنك بخير يا ابنتي..

-لا تبكِ يا أبى..

-أنا أبكي فرحًا لأنك رجعت سالمة..

أخرج هاتفه وأخبر أمي التي لم تترك مكانا حتى ذهبت إليه، كان الفضول يملأ رأسي، كيف وجدتم أدهم أخي الصغير؟ فسألت والدي، وعلمت أنه ظل في مكانه ولم يتحرك، ولذا وجدوه تعلمت درسا وقتها عندما أضل الطريق يكون الوقوف في المكان نفسه هو الصواب.

أخي الأصغر مني أدهم، كان يحظى باهتمام كثير، وهذا وما جعل الغيرة تلج قلبي، ولكن الآن تبدل وتغير كل شيء، علمت مدى حبهم لي، جميعنا نحب الاهتمام، ونحب أن نحظى بهذا الشعور ولا يكون مهمشا. كنت أنظر إلى أخي وهو يلعب دون أن يشعر بتعب أو إرهاق مثل الذي

أشعر به، كنت حزينة في بداية الأمر، ولكن كما أخبرتكم فهمت الآن، وظلت سعادتي هي أن أرى أخي مثل (محمد صلاح) في كرة القدم، فهذا حلمه وأنا أثق أنه سيحققه، كان يعجبني في العزيمة والإصرار الذي يمتلكه، رجعت أرى العالم بنظرة جديدة، تغيرت عن السابق كثيرا إلى الأحسن، من كان يتعامل معي بطريقة سيئة ومن كان يسخر مني، كنت لا أهتم بهم، حتى جئت يوما أفكر لو تعاملت معهم كما يتعاملون معي فماذا سيحدث؟ فوجدت أن الصفات التي أكرهها فيهم ستجتمع عندي كلها في آن واحد، فاعتدل تفكيري، كنت أحاول كل يوم أن أتغير إلى الأحسن، أصدقائي كانوا يحبون أن يخبروننني بكل أسرارهم لأنني كتومة. لمْ أنسَ اليوم الذي أتت فيه صديقتي علياء وأخبرتني بشيء بالنسبة لسني هذا لم أكن أفكر فيه، وتعجبت منها وكانت تبكي وهي تقول:

-حبيبي تركني يا ملك

-ماذا تقولين؟

-أقول لك حبيبي تركني

-ومن هو حبيبك هذا؟

-عصام الذي يجلس خلفي، الولد الذكي ذو العيون الخضراء

على الرغم من أني تعجبت من حديثها، لكنني انفجرت في نوبة من الضحك فوجدت وجهها تجمد وهي تقول:

-أنا حزينة وأنت تضحكين؟

-وماذا تريدين مني أن أفعل؟!

نظرت إلى الأسفل وهي تقول لي بدلال زائد:

-أريده أن يهتم بي كما كان يفعل..

حاولت نصحها وأنا أقول:

-قبل كل شيء، أنت صغيرة على هذا الحديث، وأنا أيضا كذلك ولا يصح أن نتحدث في هذا الأمر..

ظلت تضحك وهي تقول:

-أنت صغيرة، أما أنا كبيرة..

-ولكن أنا وأنت في السن نفسه

-أعلم، ولكن هو يحبني، تعلمين هو يجعلني أشعر أنني أصبحت امرأة، هل أحضر أحد لك وردة أو قال لك كلاما جميلًا يجعل قلبك يرقص منه؟

-يرقص منه؟ يبدو أنك قد جننت. أنا سأذهب..

ظل الموضوع يشغل عقلي، أيأتي الحب في هذا الوقت بالفعل أم هي تحلم! كان يأتي إلى المنزل مدرس قرآن يدعى صالح، كان يحلم أن أحفظ كتاب الله كاملا علي يديه، كان يعاملني وكأنني ابنته لأنه لم يتزوج، كنت أتعامل معه بأريحية، فسألته يوما عن هذا الأمر؛ الحب يأتي في هذه السن أم لا؟ فرأيت نظرة عينه متعجبة بعض الشيء ولكنه أجابني قائلًا:

-قبل أن أجيب، لابدَّ أن تعرفي يا ملك ما الحب؟

كنت محرجة بعض الشيء ويكسو وجهي الخجل، كيف استطعت أن أسأله في هذا الأمر؟ لاحظ هو أيضا ذلك فقال:

-أعلم أنكِ محرجة من الحديث في هذا الموضوع، فأنت ما زلت صغيرة عليه، ولكن أنا سأتحدث معك على أساس أنك فتاةٌ كبيرة، ما رأيك؟

خرجت من صمتي هذا وقلت وقتها بجرأة:

-أنا لست صغيرة..

تبسم وهو يقول:

-أنا أتمنى أن أصبح صغيراً، في الصغر نفعل ما نشاء، وعندما نخطئ يقولون هذا فتى صغير، لنخبره ألا يفعل ذلك مجددًا، ولكن عندما تكبرين لن يقولوا ذلك، بل سيكون عليك وقتها أن تتحملي العقاب، سأخبرك بالحقيقة، نحن نحب ولا يوجد أحد على وجه الأرض لا يحب، فمنا من يحب الشخص الذي يهتم به، ومنا من يحب الشخص الجميل، ولكن هناك فرق كبير من الحب الحقيقي الذي يترتب عليه الزواج وبين الإعجاب الزائف الذي يذهب مع الوقت، مثلا صديقتك معجبة بشاب وهي تدرس في المرحلة الإعدادية، أعجبت به لأنه الأكثر تفوقا في الفصل، أو لأنه اهتم بها ومع الوقت يتلاشى هذا الحب ويذهب سريعا، بينما نحن نكبر يدخل حياتنا أناس كثر ويخرجون فجأة، وهكذا هي الحياة، ولكن من نحبه حقا لن ندعه يخرج، لن نستطيع أن نحيا دونه يا صغيرتي، يسعدنا ما يسعده،

ويؤلمنا ما يؤلمه، حينما نحب لن نتردد للحظة في أن نَهِب أرواحنا لمن أحبونا إذا طلبوا ذلك، هل فهمتِ؟

- فهمت. أشكرك يا أستاذي على حديثك هذا..

-هل بيننا شكر، أنتِ ابنتي أيضا، وواجب علي أن أنصحك وأدعوا الله أن يبعد عنك كل شر..

ذهبت يومها وأنا أفكر في حديثه، هو تكلم عن الحب والإعجاب، لمَ لا أشعر بذلك؟ لا أعلم تفسيرا حتى الآن، ولكن ما أعلمه أنني سأركز على هدفي، وهو أن أصبح طبيبة ماهرة، وبعد ذلك أفكر في هذا الأمر..

مرت سنوات بعد هذا الموقف، وأصبحت الآن في الخامسة والعشرين، وأنا في كلية الطب كما تمنيت، حفظت كتاب الله كاملا، وما يشغل تفكيري هو هذا المرض الذي عندي، تقدم كثيرٌ لخطبتي وأنا أحرج كل مرة، لابد وأن نخبرهم بمرضي. يبدو أن جمالي هذا يجعلهم يأتون إليَّ، ومرضي من يتسبب في إبعادهم مرة أخرى، حتى أتى شاب يتمتع بالوسامة ليطلب خطبتي وكالعادة يوافق أبي وجلس معه وأخبره بشأن مرضي هذا، كنت أجلس في الغرفة وأنا على يقين أنه سيذهب مثل غيره، نسيت أن أعرفكم إليه، هو صديقي في الجامعة وهم لا يعلمون شيئا بشأن هذا المرض، بعد نصف ساعة قد مرت وأنا أعلم ما سيحدث، وجدت أبي ينادي عليَّ فتعجبت وقتها، معظمهم كانوا يذهبون مباشرة عندما يسمعون

خبر مرضي هذا، بدلت ملابسي وخرجت إليهم وجدته يجلس بجوار أبي مبتسما، كنت في شدة الخجل حتى وجدت والدي يقول:

-بالطبع تعرفين وائل

أومأت برأسي، ولم أتفوه بكلمة من شدة الإحراج. فقال والدي:

-هو أتى ليطلب يدك، فهل توافقين؟

تعجبت من السؤال، أيعنى ذلك أنه يعلم حقيقة مرضي أم لا؟ حتى سمعته يقول:

-أعلم يا ملك بمَ تفكرين الآن، نعم، لقد أخبرني والدك بالمرض الذي عندك، وهذا الأمر لا يعيبك في شيء أنا أحبك وهذا يكفي..

لم أستطع أن أتحدث وكأن لساني هذا قد شل، وأحمر وجهي خجلا فقام وائل قائلا:

-دعها تفكر يا عمي وأنا سأعرف منك غدا، اتفقنا؟

قلت في نفسي كيف وافق؟ فقاطع والدي شرودي هذا قائلًا:

-يا ابنتي، الحب لا ينظر إلى فقير ولا غني ولا مريض ولا معافىً، القلب ينظر إلى الطيبة، إلى من يشعر أنه سيسعده، صدقيني وائل يحبك..

فكرت في الأمر جيدا، ولمَ لا؟ أنا أشعر وكأنني مميزة عن جميع الفتيات بهذا المرض، أعطاني الله ابتلاء وأيضا ألقى محبتي في قلوب جميع الناس وهذا يكفيني، وافقت عليه وتمت خطبتي بالفعل، وأظن أن هذا القرار الوحيد الذي لن أندم عليه. وها أنا أحدثكم من منزلي، وتجلس

بجواري أروى ابنتي الصغيرة، كان وائل نِعْمَ الزوج، أسعدني كثيرا، ولكن تعلمت في هذه الحياة درسا أن الذي يحب يعطي الاهتمام دون مقابل، وأنا أحمد الله على هذا المرض وعلى هذا الزوج، تذكرت الآن الحلم الذي كان يراودني، والشخص الذي كان ينقذني، كانت ملامحه هي ملامح زوجي وائل، لقد علمت الآن لمَ اختفى هذا الحلم؛ لأنه تحقق.

مولـود الغابة

بالطبع أنتم تعرفون طرزان، وتصدقون القصص التي تروى لكم، ولكن ما لا تعرفونه أنه شخصية وهمية أتت من محض الخيال، ومن كتب الأساطير، ولكن يبقى السؤال هنا منذ متى وتعتني القرود بالبشر؟ ألم تعطِ لعقلك الإذن للتفكر ولو قليلا في هذا الأمر؟ ولكن أنا هنا لأخبرك بكل شيء، اسمي هو ستيفن، من أعطاني هذا الاسم هو والدي كاسبر، نحن لا نحب أن نجلس بين البشر، أعلم أنك تعجبت من هذا القول ولكنها الحقيقة، منذُ وفاة والدتي في منزلنا القديم في ولاية برلين هذه الولاية الهانزية الحرة، ونحن نبتعد عن البشر، هذا رأي أبي؛ هو يرى أن البشر همجيون وهم من تسببوا في قتل أمي وأنا صغير وكل هذا كان بسببي، أنا أتمتع بقوة غريبة أستطيع أن أنزع شجرة من مكانها وأنا في التاسعة من عمري، لا أعلم من أين أتيت بهذه القوة؟ ولكن أعلم جيدًا أنها السبب في قتل أمي، هم ظنوا أنني ملعون وأرادوا قتلي، لم يكن والدي في المنزل وقتها، فأخذوا يقذفون الحجارة النارية علينا، حتى احترق المنزل واحترقت معه أمي، قدرتي الخارقة هذه هي من جعلتني على قيد الحياة، حتى أتى والدي وانتشلني من تحت أنقاض المنزل، ولكن أمي قد فارقت الحياة، أخذنا نسير لا نعلم أين سنذهب، سافرنا إلى ولاية بادن فورتمبيرغ، ومن هناك أخذنا نتجه نحو الجنوب، فولجنا غابة تسمى الغابة السوداء.

ما علمته بعد ذلك أنها سمِّيت بهذا الاسم نظراً لغاباتها المهيبة المتشحة بالسواد، وخاصة في الليل بسبب كثافة الأشجار، وهنا قمنا بتقطيع بعض الأشجار وبناء منزل منها، أنا ببدني النحيل والسن الصغير من قام بقطعها بهذه القوة الغريبة التي أمتلكها، أتذكر اليوم الذي تعاركت فيه مع أسد، لم يصدق والدى أنني من قتلته، حتى رأى بعينيه جثة الأسد تحت قدمي، ولذا كان يفضل أن أبتعد عن البشر لأنهم لو عثروا عليَّ فلن يتركوني، هم يريدون معرفة سر هذه القوة أو التخلص مني بأي شكل كان، يعلمون أنني سأصبح خطرا عليهم، ولا أخفي عليكم سرًا كنتُ أتوعدهم عندما أكبر، فسأنتقم من هؤلاء الملاعين، لكن والدي من كان يمنعني، مرت الأيام وتعلمت كل شيء عن الغابة، وعلمت أن لها نواميس مثل عالمنا ليسوا همجيين، تستطيع تلك الحيوانات التناغم مع بعضها بعضًا وتعيش بشكل عائلات مثل أسراب السنونو وقطعان الغزلان، وأحيانًا يفعلون مثلما نفعل نحن، فترى بعينك شراكة بين نوعين مختلفين من الحيوانات تكون بفائدة، مثل شقار البحر يلتصق بالسلطعون لكي يحميه ويتغذى أيضا على فضلاته، أتذكر أنني منذ عامين رأيت كائنات تستطيع أن تدافع عن نفسها بطرق لم أرَ مثلها من قبل، منهم من يغير لون جسده للتمويه والانسجام مع الشكل المحيط بها، وعلمت أيضا أن الحيوانات لها أساليب للقتال وبدأت أتعلم منهم وأصبحت الآن بسرعة الفهد، وبقوة الفيل، وذكاء القرد، ومكر الثعلب؛ أصبحت لا أقهر.

أصبحت في الثانية عشر، ظل والدي يناديني مولود الغابة، سمع البشر عني أساطير وقصص، ولكن لم يرني أحد منهم، كبر والدي ومرض مرضًا شديدًا، ولم تمر أيام حتى مات، كان طلبه الأخير قبل وفاته أن أبتعد عن البشر، وأنا فعلت ما طُلب مني، ولكن لأبقى على قيد الحياة فلابد أن أجتاز هذه التحديات، كنت أخوض المغامرة، تارة تراني أقاتل نمرا، وتارة أخرى أتعارك مع الفيلة، لم يستطع أحد التغلب عليَّ، حتى أتى هذا اليوم الذي رأيت فيه بشرا، كنا في ظلام الليل الحالك، والأمطار كانت غزيرة، وجدت رجلا يرتدي ملابس غريبة، ويضع فوق رأسه قبعة سمراء اللون، يحمل سلاحه وفي يده الأخرى يمسك شعلة من نار، اختبأت منه فتفاجأت بكثيرٍ منهم يرتدون الزي نفسه، ويتبعون هذا الرجل، يا تري ماذا يريدون؟

ولكن لن أتركهم يفعلوا شيئًا في الغابة أو يحرقوا الأشجار كما أحرقوا منزلي..

تتبعت خطواتهم بحذر، حتى وجدتهم يقومون بإنزال فءوس وقاموا بعمل حفرة عميقة جدًا، ووضعوا أعلاها ورق الشجر، يبدو أنها مصيدة، ومن ثم وضعوا بعض الشباك التي يصطاد بها، وقبل أن يجن الليل، خرجوا من الغابة مسرعين، كنت أتذكر طيلة الوقت قول أبي: لا تقترب من البشر وابتعد عنهم يا ولدي..

ولكن لا أعلم ما هذا الشعور الغريب الذي يدفعني لأن أخرج إلى عالمهم، ذهبت إلى الغابة وأفشلت كل ما فعلوه، عندما عادوا في اليوم الثاني، رأيت الرجل الذي يحمل بندقية وهو يقول بحدة:

-أحد ما يتتبعنا، اذهبوا وابحثوا عنه!

انقسموا إلى مجموعات، لم يكن عددهم كبيرا حتى أقضي وقتا ممتعا معهم جميعهم، عندما وجدوني ظنَّ بعضهم أنني تائه في الغابة، وبعض آخر لم يتخيل مدى قوتي، فقمت بالانقضاض عليه، وقمت بربطهم بالحبال في فروع الأشجار، حتى أتى كبيرهم هذا وكان الاستياء يعلو وجهه، والغريب أنه لم يقم بإنقاذ رجاله وتركهم وفر هاربًا، قمت أنا بإنزال هؤلاء الرجال وتركتهم يرحلون وأخبرتهم إن عادوا إلى الغابة مرة أخرى سيدفنون هنا..

ومن يومها كثر الحديث عني "مولود الغابة"، منهم من قال إنني ملعون بقوة شريرة، وينتظر اللحظة المناسبة لكي أنقض عليهم، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك، فقال إني القوة التي تحمي الغابة، يا لهم من أغبياء، الغابة لا تحتاج إلى قوة لكي تحميها، فيها جميع الحيوانات التي على استعداد أن تفني البشر من على هذا الكوكب لو أرادوا ذلك، بالطبع لم يلزموا الصمت وحاول عديدٌ منهم البحث عني مرة أخرى، فكرت أن لا أحد منهم يعلم كيف أبدو، حتى الذين قابلتهم في الغابة لم يروا وجهي، أبي من علمني كيف يكون الاختباء. رأيت بعض الطائرات التي تبحث عني، وهؤلاء الرجال الذين لم يكلوا ولم يملوا من البحث عني، حتى يعثروا علي،

وأنا لا أريد أن أقاتلهم كما وعدت والدي، آمن مكان خطر على ذهني هو مدن البشر، هم لن يبحثوا عني بينهم بالتأكيد، وأيضا كان يقول والدي آمن مكان لك هو بجوار عدوك، ولكن أنا لا أعرف شيئا عن أفعال البشر، أنا أتعامل مثل الحيوانات، وأخشى أن أُعرف، ولكن لم يكن أمامي غير هذا الحل، فعزمت على الذهاب وبالفعل ذهبت إلى قرية بعيدة عن الغابة، الناس هناك يتعاملون مع بعضهم بحب على عكس الذين رأيتهم، ولكن كيف سأحصل على الطعام، فكلهم يريدون النقود، وأنا لا أمتلك شيئا، حتى تعرفت على "شاني" شيخ كبير هو من شعر أنني أتضور جوعا، فأخذني إلى منزله، كان المنزل متواضعا وصغيرا جدا، كانت عائلة "شاني" عبارة عن زوجته وابنته كرستينا، ما علمته بعد ذلك أن هذه هي ابنته الوحيدة عندما عرفني إليهم قائلًا:

-هذه كرستينا ابنتي، هي في سنك، وهذه زوجتي فكتوريا

قالت فكتوريا بابتسامة:

-كيف حالك؟ ولكن اخبرني ما اسمك يا فتى؟

-أنا ستيفن

قالت كرستينا:

-وأين منزلك يا ستفياني؟

قلت:

-أُحرق

اعتدل شاني مستغربا وهو يقول:

-ومن حرقه؟

-أهل المدينة..

-ولمَ؟

-كانوا يتعاركون مع والدي، ومن ثم أحرقوا المنزل علينا، ومات أبي وأمي وأنا هربت منهم..

ربت على كتفي ولمحت الدمعة وهي تسقط من زوجته، وقالت موجهة كلامها إلى شاني قائلة:

-أنت كنت تريد أن تنجب ولدًا، وأنا أرى أننا لن نجد أفضل من...

ثم التفتت إليَّ وهي تقول:

-اعذرني، ماذا كان اسمك؟

-استيفاني..

-ما رأيك يا شاني؟

تبسم وهو يقول:

-وهو كذلك

ثم نظر إلى كرستينا التي بدأ على وجهها الغضب قائلًا:

-ما رأيك يا كرستينا؟

لم تتكلم وغادرت الطعام، واسقطت الكرسي الذي كانت تجلس عليه خلفها، ودخلت إلى غرفتها وأغلقت بابها بإحكام. علمت وقتها أنها ترفض

أن أشاركها حبها، بعد ما كادت الفرحة أن تلج قلبي، أخيرا، سيكون لدي عائلة.. ولكن أنا أقدر شعور كرستينا، فلو كنت مكانها لما رضيت بهذا الأمر..

انتظرتُ يومها حتى جنَّ الليل وذهبتُ متخفيًا في ظلام الليل الحالك دون أن يراني أحد، ولكن شعرت أن أحدا ما يراقب خطواتي، فاختبأت بجوار شجرة كبيرة، فإذا بكرستينا كانت تتابعني، وتتحرك ورائي ببطء شديد وتنظر يمينًا ويسارًا، وكأنها تبحث عن شيء، حاولت التحرك ببطء لأرى ماذا تفعل، ولسوء الحظ وقعتُ أرضا فلاحظت كريستينا أنني كنت أختبئ منها، اقتربت مني وأمسكت يدي وقالت لي وقتها:

-لِمَ ذهبت؟

-أنا لا أريد أن أجعلك حزينة..

-ومن قال لك أني حزينة؟

-شعرت بذلك عندما قال والدك إنهم سيجعلونني فردًا من العائلة..

-أنا أعتذر لك، لم يكن يجدر بي أن أفعل ذلك..

-لا تعتذري، أنا سوف أذهب إلى حيث أنتمي..

لمحتُ في عينيها نظرة تعجب وهي تقول:

-ألستَ تنتمي إلى هنا؟

-لا، أنا أنتمي إلى الغابة..

تبسمت وقالت بحيوية وعزيمة زائدة:

-طالما الأمر كذلك، هيا نتجول في الغابة، كنت أريد منذ وقت طويل أن أذهب إليها، ولكن أبي دائمًا ما يمنعني أن أذهب، وكان يخبرني أنها خطيرة جدا..

-هو على حق، لا أحد يستطيع أن يتجول في الغابة بمفرده..

قاطعتني وهي تقول:

-ولكن أنت تتجول فيها وأيضًا تعيش بمفردك؟

-أنا أختلف عنك يا كريستينا، أنا أمتلك قوة تجعلني أستطيع أن أدافع عن نفسي..

ضحكت وكشفت عن يديها وهي تمزح قائلة:

-وأنا أيضا قوية جدا، لا تستهن بي!

-طالما الأمر، كذلك هيا بنا

أخذنا نسير في الغابة، كنت أحميها من كل شيء، حتى قابلنا هؤلاء البشر الذين يحرقون الغابات ويقتلون الأخضر واليابس، أخبرت كريستينا أن تنتظر قليلًا واقتربت منهم دون أن يراني أحد، ولكن لا أعلم كيف علموا أني هنا، كان كل هذا فخ قد أُعدَّ لي ليقوموا بالقبض عليَّ ونجحوا في ذلك، هربت كريستينا وذهبتْ إلى منزلها وأخبرتْ والدها بما جرى، وهذا ما علمته بعد ذلك. وضعوني في قفص الحيوانات وفي صباح اليوم الثاني، وجدت نفسي في مكان غريب لم أره من قبل، كان مثل معامل التحاليل، أنا أذكرها جيدا عندما كنت صغيرا ذهبت مع أمي أكثر من مرة، وجدت طبيبة

لا أعلم من تكون، كانت ترتدي ثوبها الأبيض، وتمسك في يديها حقنة ورأيتها تقترب مني، حاولت كسر القفص هذا ولكنه كان قويا جدا، فوجدتها تضحك بصوت مرتفع ثم سكتت وأردفت قائلة:

-صنع هذا القفص من ألياف النانو الخشبية، هذه المادة أقوى من الفولاذ؛ فلن تستطيع أن تحطمه مهما فعلت يا شقي..

-من أنتِ ولماذا تفعلين بي هذا؟ أنا لم أفعل لك شيئا؟!

-أعلم يا صغيري، ولكن أنت تمتلك شيئًا أنا من صنعته..

-ماذا؟

-لماذا لم تسأل نفسك يومًا من أين امتلكت هذه القوة؟ أنا من جعلتك هكذا لتكون لي..

-أنتِ السبب في قتل أمي ولن أسامحك على ما فعلتِ، سأنتقم منك أيتها اللعينة..

ظلت تضحك ثم قالت:

-أنت طفل صغير لن تستطيع فعل شيء، وأنا سأحصل على قوتك هذه لتكون لي، هل فهمت؟ وحينها لن تصبح قويا أيها الشقي..

وفجأة، لا أعلم من أين أتى والد كريستينا، وكسر الباب وهو يحمل مسدسا وجهه نحوها وهو يقول:

-اطلقي سراحه وإلا قتلتك، هل فهمتِ؟

اقتربت هذه اللعينة من القفص وفتحته، وما إن استطعت الخروج منه أمسكت عنقها بكل ما أوتيت من قوة، حتى كادت أن تغادر روحها هذا الجسد الضعيف، لولا أن سمعت كريستينا تقول بصوت مرتجف:

-لا تقتلها أرجوك.. لا تلوث يدك بالدماء..

تركتها وأنا أنظر إلى يدي، تذكرت كلام والدي وقتها (لا تقتل أحدا يا ولدي، ولا تنتقم من أحد، الحق سيأتي، ولكن نحتاج إلى صبر.)، تركتها وأنا أبكي على موت أمي وفراق أبي وحياتي التي قد دُمرت قبل أن تبدأ، شعرت لأول مرة بيد توضع على كتفي وتربت على قلبي، كانت كريستينا من قالت لي:

-نحن من اليوم عائلتك؛ لا تبكِ

ربت والدها على كتفي أيضا وهو يقول:

-الرجل لا يبكي، هيا يا بني دعنا نأخذها إلى قسم الشرطة لتأخذ حقك هناك.

وما إن انتهى حديثه، سمع صوت سيارات الشرطة فوجد ابنته كريستينا تضحك وهي تقول:

-أنا أخبرتهم من بداية الأمر يا والدي..

تبسم والدها وهو يقول:

-أنت تشبهين أباك في ذكائه، هيا لنذهب..

قضيتُ حياتي معهم، مرت الأعوام والتحقتُ بالقوات الخاصة، كنتُ أحارب معهم في كل المعارك، واستطعت أن أستخدم هذه القوة في مكانها الصحيح، وتزوجت من كرستينا، كانت وما زالت أجمل فتاة رأتها عيناي. تمنيت لو أنني أنجبت طفلة تشبه أمها.

عروس الجنة

الحُب منْبع السَّلام، الأملُ السَّاطع بين ضِفَاف القُلوب بلُغة مختصرة، هو الحياة، وهكذا كانت تقى ناجي تفعل؛ لا تحمِل مثقَال ذرَّة من كُرهٍ لأحد، حتى أكرمها الله بالحُب الحقيقي، تقدم لخطبتها سامح الذي كان يعشقها، النظرات المتبادلة بينهما قد أخبرت جميع الناس بمدى قوة هذا الحب، مرت الأيام وتم الاتفاق على كل كبيرة وصغيرة، الفرحة لم تسع قلبها يعج كل هذه التسهيلات، ما كانت تتمنى حدث أخيرا، أصبحت عروسًا مثل أصدقائها، تجمَّلت وتزينت حتى أتى اليوم الذي يُنقل فيه حاجاتها من منزلها إلى منزل زوجها، غمرت قلبها سعادة لو نزلت على جبل للان.

كانت العادات في محافظة القليوبية، خصوصًا كفر الجزار، لا يسمحون للفتاة أن تذهب إلى منزل زوجها وقت النقل، ولهذا كانوا يتركون العروس في منزلها لتقوم بإعداد الغداء عند عودتهم. أتى الصَّباح، أخذ أحمد شقيقها يدعو أصدقاءه لنقل الجهاز، السرور كان يعلو محياهم جميعًا، بكت والدتها وقالت بنبرة منكسرة:

-هذا اليوم الذي كُنت أتمناهُ من الله، والحمد الله أنا أسعد أم في الدنيا الآن..

ربتت تقى على كتفها وقالت بنبرة حزينة:

-أنتِ تعلمين يا أمي أني لا أقدر على فراقك..

قاطعتها قائلة:

-هذه هي سنة الحياة يا ابنتي، أسأل الله أن يسعدك..

دخل أحمد في هذا الوقت فوجدهُما يبكيان والدُّموع تتساقط منهما قال مستغربًا:

-ماذا حدث؟

التفتت إليه والدته وهي تُزيح الحزن والدّموع من عينيها وتغيرت فجأة إلى ابتسامة مشرقة وهي تقول:

-إنها دموع الفرحة يا ولدي..

تبسم وقال:

-إن كان الأمر كذلك فلا بأس، هيا يا أمي لنذهب

اقتربتْ أمُّها منها وطبعت قبلة على جبينها وأَرْدفت قائلة:

-أنتِ تعلمين العادات يا ابنتي لن تذهبي معنا..

أومأت تقى برأسها وهي تقول:

-كنت أريد أن أذهب ولكن لا بأس يا أمي.

غادروا جميعًا المنزل وتركوها، دخلت لتعد الغداء، وعند عودتهم تتحرك من غرفة إلى أخرى في سعادة غمرت قلبها، جعلته ينبض من جديد، تحلِّق مثل الفراشات تُلَمْلِمُ أشياءها في فرحٍ وسرور، وتودع منزلها حتى

سمِعت أذان العصر، دخلت الحمام لتتوضأ استعدادًا للصلاة، سمعت حركة غريبة بجوار باب الشقة وكأن أحدًا ما يحاول أن يفتحه ولكن ببطء، لم تكن تعلم أن الغدر لا يأتي إلا من الذين نظن أنهم أقرب الناس إلينا، اقتربت من الباب ببطء، وأمسكت المفتاح فكُسر الباب تفاجأت بحسان صديق أحمد الذي كانت تتعامل معه على أساس الأخوة، لم تكن تتخيل أنه ينوي قتلها، الشر كان يتطاير من عينيه، يبدو من نظراته أنه صُدم من وجودها في المنزل، ظن في بداية الأمر أن المنزل خاليًا كما أخبره صديقهُ الذي تعاون معه لسرقة المنزل. قالت تقى بتلعثم شديد وخوف بدا على محياها وقدمها كانت ترتعد:

-ماذا تريد يا حسان؟

لاحظت السكين التي كان يُمسك بها فرجعت القهقرة وهي تقول:

-بالله عليك لا تقتلني، أنا لم أفعل لك شيئا، أنا أعتبرك مثلُ أخي..

ظلت تترجَّاهُ، ولكن جنَّ جُنونه وكأنَّهُ وحْشٌ انقضَّ على فريسته، فأخذ يطعنها عدة طعنات نافذة أودت بحياتها، فلما تأكد أنها فارقت الحياة، قام مسرعًا يبحث عن الذهب في كل مكان، ولكن لم يجده، أخذ السكين واعتلى سطح المنزل بمساعدة صديقه الآخر وفرَّا هاربين، ظلت تقى تنزف والدماء في كل مكان؛ تغيرت غرفتها التي كانت باللون الوردي إلى لون الدم، فطمست أحلامها وقتلت فرحتها التي لم تكتمل بعد. الفتاة التي

كانت تبتسم للحياة، وتُساعد الفقراء، ولكن أتى هذا اللعين وأنهى حياتها دون وجه حق، دون أن يُفكِّر ولو قليلًا لمَ يَحْرمها من الحياة؟ لمَ كل هذا؟!

عند عودة أهلها من النقل، أتى أحمد ومعه أصدقاؤه، قلبهُ كان يؤلمه، ظن أن هذا الألم من شدة الفرحة، ولكنه لم يكن يتخيل ما جرى لقلبه الثاني، عندما وقف أمام باب الشقة، تفاجأ بأن الباب على مصراعيه، هرول مسرعًا فوجد هذا المنظر الذي يُحطِّم القلوب، أخته، الفتاة التي لم تفرح بعد لقيت مصرعها، ملقاة على الأرض غارقة في دمائها لم يصدق ما تراه عيناه، أخذها بين ذراعيه وأسرع بها إلى المستشفى، كانت بين يديه لا تتكلم ولا تتحرك، كان يضحك على نفسه قائلًا:

-أنا متأكد أنها لم تمُت، هي لم تمُت صدقيني يا أمي..

والدتها كانت منهارة، اليوم الذي انتظرته من سنين أتى وماتت ابنتها الوحيدة، قلبها كان سينفجر حزنًا لولا أنها تعلم جيدا أن هذا أمر الله.

عندما وصلوا إلى المستشفى، نظر إليها الطبيب وقال بحزن شديد مما رأى، فقد تم طعنها أكثر من عشرة طعنات نافذة، وكأنه كان ينتقم منها ولا يريد أن يتركها تذهب من هذا العالم دون عذاب.. قال الطبيب وهو يحاول أن يُمسك دمعته التي كادت تسقط أمامهم:

-البقاء الله

انفعل أحمد وأمسكه من عنقه وقال بغضب ملأ عينيه:

-ماذا تقول؟ أختي لم تمت؛ هي نائمة فقط.

ثم التفت إلى جثمانها وأخذ يهزُّ جسدها بقوة وهو يصرخ:

-استيقظي يا قلبي، هيا لتذهبي إلى منزل زوجك..

ثم استدار فرأى خطيبها وراءه وهو يبكي أمسكه من كتفه وهو يقول:

-أخبرها أنك هنا، هي تُحبُّك صدقني، قُل لها أن تستيقظ..

ربت خطيبها على كتفه وهو يقول:

-هون عليك يا أحمد، والله لن نترك حقها حتى نعرف من الكلب الذي فعل هذا..

وفي هذه الأثناء قام قسم بنها ثانٍ بالبحث عن المجرم، أخذت القضية شكلًا جديدًا، فقد اشتهرت إعلاميًا باسم "تقى عروس الجنة"، مرَّ اليوم الأول، رفض أحمد أن يأخذ العزاء حتى يأخذ حقها، وأعلن هذا أمام جميع الناس.

في اليوم الثاني، أتت الشرطة وكانت تبحث عن أي دليل، حتى تبين للنقيب عمرو أن الذي قتلها هو شخص قريب منهم جدا، علم أنهم جميعًا قد غادروا المنزل، ولذا انقض عليه لسرقة الذهب، ولكن تفاجأ بوجودها، وهذا ما جعلهُ يقتلها لكي لا يُفضح أمره، ولكن لابد أنه خرج من المنزل عن طريق السطح، كان شكهُ في محله؛ فالمنازل في هذا المكان قريبة من بعضها بشكل غريب، ومن الممكن أن تفرد ذراعيك فتمسك الشرفة المقابلة، أخذ إذنًا من النيابة بتفتيش المنازل القريبة من منزلها، وتم العثور على السكين في المنزل المجاور في الغسالة مع ملابسه التي غرقت من الدِّماء،

يبدو أنهُ لم يسعفه الوقت في التخلص منهما، وتم القبض على حسان الذي كان يبحث معهم عن القاتل.. اعترف وقتها أنه لم يكن بمفرده، بل كان معه صديقه الذي راقب المنزل، وهو أيضًا من فتح النافذة لكي يخرجه من المنزل، وبعد أيام تبين أن الجريمة لم تكن من فردين فقط، بل كانت هناك فتاة هي أخت حسَّان، وهي من خططت للأمر كله، علموا هذا من خلال التحقيقات، أخذ حسان يبكي بكاءً شديدًا وهو يقول:

-والله لم أكن أرغب في قتلها، أنا خشيتُ أن تُخْبرهم..

رد عليه النقيب بحدة قائلًا:

-وهل هذا داعٍ لأن تطعنها ١٢ طعنة؟ لمَ كل هذا الكفر؟ كيف استطعت فعل هذا؟ الفتاة كانت تحلم أن تصبح عروسًا ترتدي فستانها الأبيض فتأتي أنت وتلبسها الكفن!! يا لك من غبي!

تعاطف جميع الناس مع تقى وأخذت البرامج الاعلامية تتحدث عنها في كلِّ مكان، تم تحديد عدة جلسات للنطق بالحكم.. تظاهر الآلاف من المواطنين أمام المحكمة وهم في حالة من الاستياء.. جميعهم كانوا يهتفون: الإعدام للخنزير!

لم يذق شقيقها طعم الراحة حتى ينتقم من هذا اللعين ويراه وهو يعدم أمامه. مرَّ عام كامل من الجلسات ثم التأجيل ثم الحكم النهائي، في هذا اليوم الذي كان ينتظره جميع الناس، ظلوا يرقبون ماذا سيقول القاضي وما الحكم، حتى سمعوه يقول:

-حكمت المحكمة حضوريًا بالحكم على "حسان أحمد إبراهيم" بالإعدام شنقًا..

هاج جميع الحضور وقالوا في صوت واحد: الله أكبر!

ثم أكمل القاضي الحكم قائلًا:

-وعلى المتهم الثاني "وليد السيد محمد" عشر سنوات مع الشغل والنفاذ. وتم تأجيل النطق بالحكم على "وفاء أحمد إبراهيم" إلى الجلسة القادمة. رفعت الجلسة..

قلب أحمد كاد يقفز من صدره، السعادة ولجت عينيه وقال بصوت عالٍ:

-اليوم أخذتُ حقَّهَا، واليوم نأخذ العزاء..

آن لكِ أن ترتاحي يا عروس الجنة.

اترك كتابي

أرجُوك يا أبي، اتركني أنعمُ بحياتي التّي أحبّها، صدّقني أريد أن أنْقِذكم من هذا الفقر، تعلم عندما أكبر سأَعمل طبيبة وسأجْنِي كثيرًا من المال!

-أنتِ لن تُصبحي أيَّ شيء غيرَ زوجة تربِّي أولادها وتعتني ببيتها، أفهمتِ؟

-لا يا أبي، لكي أعتني بأولادي لابدَّ وأن أتعلم أرجوك!

-قلتُ لا، وإن فكَّرتي أن تعصي أمري ستكونين بجوار أمُّكِ، أفهمت؟ أنا أتعب في زراعة الأرض كلَّ يوم لكي تحصلين على طعامك أنت وأخواتك، فلا تجعلينني أترككم للفقر ينهشُ جسدكم..

-الحياة ليستْ الطعام والشراب فقط يا أبي!

-دعكِ من حديث الفلاسفة هذا.

-هذه هي الحقيقة، العقل يا أبي هو غذاءُ كل شيء، بالعقل نحيا الحياة التي نريدها، ونتعلم لكي نحصل على ما نريد.

-انتهى الحديث بيني وبينك، لو لم ترجعي عن تفكيرك هذا سأترك الفقر يعلِّمك درسًا، لتعلمي أن الطعام هو كل شيء..

قالت بحدة:

-لم يخلقنا الله مثل الأنعام نأكل ونشرب فقط، بل لنتعلم ونفكر يا أبي!

-كنت أعلم أن الحديث معكِ لن يجدي نفعًا، لذا قررتُ أن أكتب كتابك غدا على وليد ابن عمك..

-وأنا أرفض

-منذ متى وأنا أعمل برأيكِ؟

فنظر إلى يدها فوجدها تُمسك كتابًا، فأخذهُ عُنْوَة وهو يقول:

-هذا ما غيَّر تفكيركِ إذن..

اقتربتْ لتأخذ الكتاب منهُ فدفعها بقوة جعلتها ترتطم بالأرض، ووقع الكتاب بجوارها، حاولت أن تقترب لتأخذه، فضغط على يدها بقدمهُ بقوةٍ جعلتها تتألَّم، وصاحت فيه قائلة:

-كتابي.. لا، أنت تقتل حياتي هكذا..

لم يتركها حتى فقدت وعيها، وما إن أفاقت، أخذتْ تُسرع نحو الشرفة وكأنَّها قد جنَّت، ثم ألقت جسدها إلى الحرية التي رأت أنها ستنعم بها خارج هذا المنزل، أو كما صح القول خارج هذا العالم أجْمع، فالحرية تكمن هناك.

الحب وحده لا يكفي

-لا يا أمي، ليست هذه المرة..

-بلا، ستفعلُ ما أقوله لك!

-يا أمي رجاءً اسمعيني، تعلمين أنني أريد أن أصبح ضابطا بالشرطة..

-لا أكترث لهذا الحديث، ستذهب إلى الخانكة وستُكمل بعدها المعهد، هل فهمت؟

-يا أمي..

-لقد انتهى حديثي..

-ولكن..

-ولكن ماذا أخبرتك، لن أرجع في كلامي مهما حدث!

-كما تشائين يا أمي..

كان هذا أنا كريم في معهد تمريض، أو على وشك الالتحاق بمعهد التمريض الخانكة كما طلبت أمي على الرغم من أنني لا أحب السفر، ولكن لم أكن أريد إغضابها.

قمت من على الطعام وأنا في ضيق شديد فقال والدي:

-إلى أين تذهب؟

-إلى الحمام

-هل انتهيت من طعامك؟

-نعم، سوف أذهب

كنت لا أحب خوفهم الزَّائد عليَّ بهذا الشكل، وقراراتهم التي كانت نافذة وأيضًا أمي التي كانت تجعلني أفعل ما تريد فقط، دون النظر إلى أأنا راضٍ بهذا الأمر أم لا.. أعلم أن كل هذا لمصلحتي ولكن أريد أن أُصبح أنا.. لا شخصا مثل الكرسي الموجود في المنزل؛ يتم نقله من مكان إلى آخر ولا يُأْخذ رأيي في شيء، على الرغم من أنني أمتلك مواهب كثيرة..

ذهبت إلى الخانكة، كانت تبعد عني قرابة الساعتين، كنت أكره الحافلة التي لا تترك منحنى أو مطبا إلا أخذته بطريقة غير صحيحة، وهذا ما لم يجعلني أستطيع النوم يومها. وصلت أخيرًا، أخذتُ أصعد الدرج، تبدو من منظرها العام وشكل الدرج أنها قديمة جدا ومتهالكة، المبنى باللون الأصفر الباهت، والأشجار في كل مكان باللون الأخضر المتناثر، شكلها رائع، تبدو منطقة ريفية، دخلت المعهد وذهبت عيناي يمينًا ويسارا تستكشف المكان، كان يشبه المدارس الابتدائية القديمة، دخلت المحاضرة الأولى، وعلمت من الدكتور وقتها أن الطالب لابد أن يستوفي نسبة حضور لا تقل عن ٧٥٪، ويتم استبعادي من الامتحانات بسبب عدم الحضور، كنت أعلم ذلك من بداية الأمر، مرت الأيام وتعرفت إلى زملائي الجدد، كان مصطفى هو من يجعل السرور يلج قلبي، كنا نفعل كل شيء مع بعضنا،

حتى مرض مصطفى وكنت قلقا عليه جدًا، ودعوت الله له حتى علمت بالصدفة أنه يعاني من مرض خطير في العظام، ولن يتم شفاؤه في مدة بسيطة، هو لم يخبرني بشيء، كان يتعامل على طبيعته، كُنت أزوره ما بين حين وآخر، وكنت أشرح له ما ينقصه من المحاضرات.

مرت الأيام حتى تعرفنا إلى زملائنا الجدد، فكانوا من جميع أرجاء محافظة القليوبية، وتعرفنا إلى الأساتذة الذين أحبوني أنا ومصطفى لطيب أخلاقنا وحسن معاملاتنا مع الآخرين، ومرت الشهور والسنين حتى انتهت مدة الخانكة، وأتت مدة المعهد الفني الصحي في بنها، كان شبه نظام كلية، كان يتم تقسيم كل فئات التمريض إلى مجموعات، وانتهى أمري في النهاية في مجموعة ليس فيها صديقي.

لكل مجموعةٍ مجموعةٌ على الواتساب ليتشاوروا فيما بينهم في المذاكرة والمشكلات، ما كان يزعجني ليست المواد التي باللغة الإنجليزية، بل إن المعهد مُشتَرَك، أي أنه بنين وبنات، ومن عيوبي أنني لا أُجيد التعامل معهم كسائر زملائي، فأنا أعاملهم كإخوة وأناديهم بآنسات وليس بأسمائهن المجردة.

مرت الأيام حتى علموا جميعًا أنني متفوق، فأتت معظم الفتيات ليسألنني أسئلة عن المنهج، ثم تطورت الأسئلة وأصبحت شخصية مثل: أأنت تحب أم لا؟ كنت أتعجب من ذلك؛ فلم يكن يشغل ذهني إلا المذاكرة فقط، فكنت أجيب بقول: لا.. وأنهاهن عن أيَّة أسئلة شخصية، حتى

تعرفت إلى ذلك الشروق الذي أشرق الظلمة التي بين أضلُعي، فتاةٌ أتت تدرس معنا، لا أقول مثل القمر، بل هي اسم على مسمى، وصدق من سماها شروق، لا يوجد أحد في خلقها الحسن، وما جعلها تتعامل معي لأول مرة، هي مادة تسمى التشريح، فقد كانت من المواد العسيرة، مع أنها في قمة السهولة لمن يذاكر باستمرار، كانت شروق تتحدث معي على الخاص من خلال الواتساب، تسأل فقط وأنا أجيبها.

انتهى الفصل الأول على خير، لم أكن وقتها قد تعرفت إليها جيدا، وأتى الفصل الثاني، كانت المواد مختلفة عن الفصل الأول، واستمر كل شيء على ما يرام، حتى أتت شروق وحدثتني مرة أخرى، كانت تريد معظم محاضرات الدكتور مُنى، لم يكن باستطاعتي إرسالها عبر الواتساب؛ لأن حجمها كان كبيرا، فطلبت منها أن أقابلها وأعطيها تلك المحاضرات، ووقتها لم يكن في خاطري أي شيء تجاهها. حتى بدأت تسأل عني عند غيابي، وتعطيني ما ينقصني من المحاضرات دون أن أسأل عنها، شعرت أن شيئا قد تحرك في قلبي، كنت أشكرها على تلك المحاضرات، وكانت تُشعرني كل يوم باهتمامها لي، كتبتُ حالاتٍ عنها في الواتساب، حتى شعرت أنها المقصودة بتلك الحالات. حتى أتى اليوم وسألتني إذا كنت أُحب أحدًا؟

فأجبتها ودقات قلبي سريعة:

-نعم، أحب..

-هل هي معنا؟

-نعم، انصحيني كيف أقول لها إني أحبها؟

قامت بنصحي وأخبرتها عن كل ظروفي وأحوالي، وأني لا أملك شقة، وما لفت إعجابي بها عندما قالت:

-أنت لست بقليل يا كريم لكي يتم رفضك من أحد..

بعد هذه الكلمات، أخذت شحنة أمل منها لا مثيل لها، كنت أحلم بها، لم أترك صلاة إلا ودعوت الله أن يجعلها من نصيبي، لا أخفي عليكم سرًا، كنت أخشى أن أتحدث معها، لا أعلم ما الذي يجري معي، أصبحت ملتزمًا بالحضور بشكل غير طبيعي لكي أراها فقط، ولكن عندما تراها عيناي يقف لساني عن الحديث، وتارة أخرى أتلعثم وأشعر بالارتباك، ولا أستطع جعل عيني تخطو نحو عينيها. لا أعلم شعورها، أتحبني كما أعشقها أم أتى الفارس الأبيض وخطف قلبها؟ لم أكن أحب البوح بما أكتم في قلبي، وبعدها بفترة قصيرة اعترفتُ لها بحبي، وأني سوف أذهب لخطبتها بعد انتهاء المعهد، ومن سوء حظي، كانت قد أغلقت الإنترنت، فلم ترَ الرسالة بعد، ولكني أترقب الرد، حتى أتى الرد وأشعرني أنها لا تحبني، فلقد ذكرت عيوبها بطريقة وكأنها تخبرني أن أبتعد عنها، هي لا تعلم أن ما قالته لم يكن بالنسبة لي عيوبا، قالت:

-لا أحبك، ولكن باستطاعتك أن تجعلني أحبك..

علمت حينها أن كلامي بني على باطل، وأنها لا تحبني، ولكن تأملت في قولها "ولكن باستطاعتك أن تجعلني أحبك"، فقلت في نفسي، إن لم تكن

تريدني، لمَ قالت هذه الجملة؟ علمت أنها لا تحبني، ولكن توجد ذرة حب بداخلها لي، ودوري أن أُنمي تلك الذرة، وما جذب انتباهي لها صراحتها أيضًا وعدم كذبها عليَّ في أي شيء قالته لي، حينها اعترفت لها بعيوبي أنا أيضًا، ولم تكن بالنسبة لها عيوبا، وأخذنا نعرف بعضنا أكثر، كنا نتناقش كثيرًا وتحصل اختلافات أيضا، حتى لاحظ مصطفى التغيير الذي طرأ عليّ فسألني:

-ماذا بك يا صديقي؟

قلتُ بتلعثم:

-لا يوجد شيء..

تبسم وقال لي ونظراته كلها تخبرني أنه يعلم كل شيء:

-أعلم ما بك؛ أنت تُحب..

شعرتُ وكأنها تهمة، فقلتُ له وأنا أُخفي ملامح وجهي:

-ماذا تقول؟ أُحب؟ هل أنا أقع في الحب بهذه السهولة؟!

-طالما ليس الأمر متعلق بالحب، فلِمَ كل هذا التغير والارتباك؟ اخبرني لا تقلق..

قلت له بجدية:

-منذُ متى وأنا أخفي عنك شيئًا؟!

قال ساخرا:

-منذُ هذه اللحظة..

لا أعلم لمَ لمْ أخبرهُ؟ يبدو أنني وصلت لدرجة أشعر فيها أن الحب أصبح بالنسبة لي شيئًا أخجلُ منه، ترددت كثيرًا قبل أن أخبره، ولكن كان لابد أن أبوح بمشاعري، كنت أشعر وكأنني سأنفجر إن لم أخبر أحد. يأتي على المرء منا وقت يحتاج فيه إلى أن يبوح بأوجاعه ومشاعره، لا يهم من هذا الشخص، الأهم أن يبوح بسره، أخبرته قائلًا:

-الحقيقة أني قد وقعت في الحب..

سمعته يضحك ثم اعتدل في جلسته قائلًا:

-يا صديقي أنا أعلم أنك تحب وأعلم من تحب أيضًا

شعرت بالدهشة؛ كيف له أن يعرف بتلك السرعة!

-شروق أليس كذلك؟!

قلت متعجبًا:

-ماذا؟! كيف عرفت؟

-أنت أخبرتني..

-ماذا؟!! كيف؟ أنا متأكد أنني لم أخبر أحد!!

زادت ابتسامته واردف قائلًا:

-لم تخبرني بالحديث عنها، ولكن ألا ترى نظراتك لها، أنت لا تعطي لعينيك إذن بمغادرة وجهها، نعم، لم تخبرني، ولكن عينيك تحدثت يا صديقي..

احتقن عقلي بالضجيج، أنا لا أستطيع أن أكتم حبي!

ربت على كتفي قائلًا:

-أعلم أنك تحبها، ولكن هل هذا يكفي؟ الحب جميل، ولكن ليس هو كل شيء يا صديقي، الحب وحده لا يكفي..

-كيف ذلك؟!

-جميع القصص التي تبدأ بالحب، سريعا ما تنتهي وتطوى وكأنها لم تكن موجودة من الأصل..

قلت بخجل:

-أنا لا أحبها فقط، بل أعشقها يا مصطفى

قاطعني قائلًا:

-نعم، أعلم ذلك، ولكن حاول أن تثبت لها مدى حبك..

-وكيف أفعل ذلك؟

-يجب أن تعلم أنها مسئولية كبيرة قبل أي شيء، وأن تخبرها بحبك لها وأن تكون على مقدار العهد الذي عهدته لها، وأن تخبر أهلك بذلك قبل أي شيء، ولا تتحدث معها إلا بعلم أهلها يا كريم..

-أنت تعلم يا صديقي أني لست كمن يتلاعب بالفتيات، قبل أن يكون لدي شقيقة فلدي رب ونهاني عن فعل ذلك، ولا متخذات أخدان، تذكر يوم أن جلسنا نستمع شرح هذه الآية، فلا تقلق، سأخبر أبي قبل أي شيء..

-بارك الله لك يا كريم وجمع بينكما في خير..

ما كنت أفكر به هو أبي، أسيوافق أم سيرفض، وأمي ماذا سيكون ردها؟ وأيضا والدها هل سيوافق عليَّ وأنا لم أتخرج من المعهد بعد ولا أملك شقة؟ لم أكن أعلم إجابة واحدة عن هذه الأسئلة، حتّى جلست مع والدي ليلتها وقلت له:

-أبي أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم..

-انتظر قليلًا، أنت تعلم أني مشغول جدًا اليوم..

شعرت بخيبة الأمل، هو لا يريد أن يسمعني، قمت من جواره ويبدو أنه لاحظ التعبيرات التي ظهرت على وجهي، فأمسك بيدي وأجلسني بجواره وقال بصوت هادئ:

-اخبرني ما هو الموضوع المهم الآن؟

الكلام قد غادر من ذهني ولم يتبقَّ غير أن أقول:

-أبي، أريد أن أخطب فتاة أحبها..

ابتسم وهو يقول:

-هذا هو الأمر إذن، فلتخبرني الآن من هي الفتاة التي أوقعت بك؟ فأنت لم تتحدث مع فتاة من قبل!

-هي تدرس معي في معهد التمريض، فتاة جميلة جدا يا أبي وعلى أخلاق عالية

-وأنا أوافق، ولكن دعني أخبرك بشيء..

-وما هو؟

-أن تقدم على خطوة مثل هذه ليس بالأمر السهل، لابد أن تعتمد على نفسك في كل شيء، لكي تستطيع أن تُنشئ أسرة، ولابد أن تتأكد جيدا أنك تحبها..

-متأكد من ذلك يا أبي

-إن كان الأمر كذلك فمبارك عليكما، ولكن يجب أن ننتظر لنهاية الدراسة ثم نذهب لخطبتها..

-وهذا ما أخبرتها به أيضا.

-حسنا يا ولدي.

مرت الأيام، وصعقت عندما قالت لي أن هناك شاب تقدم لخطبتها، لا أعلم كيف أتصرف، فقط دعوت الله أن يجعلها من نصيبي، أخبرتها أني لن أتركها مهما حدث، وهي أيضا تمسكت بي أكثر فأكثر بعد تلك الجملة، فأخبرتني أنها ستقوم برفضه وهذا ما حدث بالفعل. جاءت السنة الأخيرة من المعهد ومرت بسلام أيضًا معها، فكانت تساعدني وتشجعني على كل شيء وأنا كذلك. حتى انتهت الدراسة وذهبت لخطبتها، وما جعل قلبي يقفز من صدري، هو أن والدها وافق بكل سهولة، لم يتحدث معي في شيء غير الأخلاق والسلوكيات، وعلم أنني أستحق ابنته فوافق، بعدما وافق مباشرة، حمدت ربي شكرا له على أن جعلني أفي بعهدي أمامها.

عملت ليل نهار كي أُجهز نفسي، مرَّ عام حتى تمت خطبتنا، ولم يمرّ العام الذي بعده حتى جعلها الله زوجتي، وأنجبنا طفلين هما شوق ومالك، كنت أحمد الله كل ليلة على أن يسَّر لي الزواج بأجمل امرأة في العالم.. تعلمت أن الله يرزق الإنسان الطيب بالتي تشبهه ويرزقها القبول، فرحتي كانت عارمة عندما علمت أن صديقي مصطفى معجب بفتاة أتمنى أن تكون هي من نصيبه أيضا، وعلمت أن الحب الحقيقي لا الذي ينشأ قبل الزواج، بل بعده، ويأتي من العشرة والاهتمام ومعاملة الزوجة بالإحسان، فهنا يكمن الحب، لا الذي نسمع عنهُ في المسلسلات والأفلام.

Sunrise is the hopness of tomorrow, hopness of our Future and my future

الشروق هو أمل المستقبل، أملنا للغد وأملي للغد.

دائمًا تنتهي القصص ويبقى الأثر.

تمت بحمد الله وفضله.

الكاتب في سطور

كريم غباشي كاتب روائي وقاص مواليد ١٩٩٥ م محافظة القليوبية مدينة بنها، مدرس قرآن وتجويد وحاصل على عدة إجازات في القراءات العشر الصغرى، صدر له رواية" يتعلمون منهم السحر" ورواية قارئة الفنجان ومجموعة قصصية بعنوان "وانفرطت حبات السحر".

ربح في عدة مسابقات وله كتب جماعية منها "حكايات عبر الزمن" و"كلمات تقرأ ليلاً" و"عوالم شيطانية" و"جدران"ونشرت له قصة قصيرة بعنوان المقبرة الملعونة على جريدة الموجز العربي.

الفهـرس

إهداء ٦
المقدمة ٧
في هذه المجموعة ٩
لعنة آمون ١١
آلة الزمن ٢٣
"بشكروش" ٣٢
تعويذات البعث ٤٢
عهد الشيطان ٥٤
قاتل القراء ٦٦
لعنة روح ٧٤
ويلز وتوماس ٨٣
آن لها أن تستيقظ ٩٤
الشيطان يتصدق ١٠٤
عسكري الوطن ١٢٨
فتاة للبيع ١٣٤
حلم تحقق ١٤٢
مولود الغابة ١٥١
عروس الجنة ١٦٢
اترك كتابي ١٦٩
الحب وحده لا يكفي ١٧١

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.